الفكر وصناعة الظلام

ليس المصير الأدبي أدنى سمواً ولا اقل إشراقاً من مصير الشهداء. بل إن كثيراً من أبطاله شهداء بكل ما في هذه الكلمة من عذاب وخلود. وكثيراً ما استشهد رجال الفكر والادب لقضايا علمية يركزون بها الاسرة الانسانية على مشارف آفاق جديدة وقيم إنسانية.

ورجل الفكر إنما هو كذلك لانه يلتزم الدفاع عن التوجيه والابداع ويمزج الفكر في واقع الوجود. فالفكر - وما حوله من أدب وفن وإبداع - هو صورة للمجتمع الحي الذي يعيث فيه صانع الظلام فساداً. ولكن هذه الصورة تبدو دائماً على تعمق آلي، وارتباط بالمجتمع، دافعين موجهين.

ورجل الفكر يقبض - مع جمرة الابداع - على مبضع الجراح، وسوط النقمة، ومشعل النور والتعبير، وهو المثال الاكمل المعبّر عن واقع الوجود. اما صانع الظلام فيحمل مروحة الخنوع لسيده الظلام.

ومن قوانين المجتمع الثابتة ان تسري دوماً في الاشياء حركة خفية سحرية تحولها من حالة الفوضى الفطرية الى حالة من النظام الكوني العام عناصرها الوعي والحيوية والجمال. ولكن لابطال صناعة الظلام عندنا مجدهم بأن يكونوا الظاهرة الغريبة الشاذة التي تصارع في صلب المجتمع العربي لتقضي على ظاهرة التكتل الاجتماعي المنسجم، المشاد بدموع المفكرين ودمائهم وأرق الشعراء وكلال عيون العلماء الطامحين جميعهم الى هندسة مجتمعية صحيحة. فان كان مجتمعنا يعاني تراخي العزيمة بعد نكباته المتكررة [على ما فيه من نبض القوة وحركة المجد والتوثب الى النهضة] فلأنه منكوب بزعاماته قبل نكبته بقضاياه. منكوب بصناع الظلام، هؤلاء الذين أنشأوا من الارتجال والفوضى مذهباً حياتياً واقتصادياً يستميتون في الدفاع عنه ليكونوا الخلايا الميتة والغدد المخدرة بهذا الجسم العربي الجبار الممدد كجواد طروادة الخشبي على سراب الجزيرة العربية. فالمقياس الاول لرجال الفكر في مرحلتنا الانبعاثية هذه، يجب ان يكون معركة اساسية على الظلام وسدنته السياسيين وتجار الالفاظ المقدسة. إنها معركة رجال الفكر ليزيدوا - بالقضاء على المجدفين على قداسة الحرف - كمية الايمان وطاقاته في عروق الامة العربية.

ان الذين يفسدون على المجتمع العربي حركة انبعاثه وما يدمدم تحتها من ينابيع وما يستظلها من أدب وفن وعلم.

والذين يعملون على طمس فلسفة القيم الانسانية وفقاً لمفاهيم تجارية اعتباطية.

والذين يركبون السياسة النفعية العرجاء في طريق البنيان الزائف.

والذين يجردون العربي المفكر من إمكانات تفوقه وجدواه على المجتمع الانساني.

والذين يحولون مبضع الجراح الرحيم الى الاعضاء السليمة لاشباع غرائزهم وانانيتهم الحقيرة.

والذين يقفون في وجه تحديد القيم الانسانية وتوضيحها وتعبئتها وتفجيرها.

هؤلاء جميعاً هم المساهمون في اكبر وافظع رأسمال يهيمن على صناعة الظلام.

محمد عيتاني

قصة تمثيلية

ثلاثة ايام مع رهين المحبسين

بقلم علي احمد باكثير

اليوم الاول :

(ابو العلاء المعري يصلي ركعتي الضحى وعنده تلميذه ابن أبي هاشم)

ابو العلاء : [يسلم من صلاته وهو يرتجف من البرد] ابغني ردائي يا ابن ابي هاشم .

ابن ابي هاشم : هذا من وضوئك بالماء البارد يا سيدي الشيخ . فلو توضأت بالماء الذي سخنته لك ..

ابو العلاء : كلا يا ابن ابي هاشم .. ما لي وللماء الحميم ؟ ان على التخوم لمجاهدين مرابطين في العراء يدفعون عنا العدو ، فاذا لم احتمل الماء بارداً فأنى يكون جهادي ؟

ابن ابي هاشم : ها هوذا رداؤك

ابو العلاء : [يلتحف بالرداء] بارك الله فيك .. هل لى الآن ان املي عليك .؟

ابن ابي هاشم : [يسرع الى كراسته وقلمه] أملِ يا سيدي ..

ابو العلاء :

أجاهد بالطهارة حين أشتو | وذاك جهاد مثلي والرباط
مضى كانون ما استعملت فيه | حميم الماء فاقدم يا شباط

صوت [ينادي من الخارج] يا ابا العلاء ! يا ابا العلاء !

ابن ابي هاشم : هذا ابو القزويني قد جاء ليؤذيك ويضايقك ، فهل لي يا سيدي ان اصرفه عنك ؟

ابو العلاء : بل ائذن له واحسن استقباله .

ابن ابي هاشم : انه يشنؤك ويحقد عليك

ابو العلاء : لكني لا اشنؤه ولا احقد عليه .. دعه يدخل .

[يفتح ابن ابي هاشم الباب الايمن فيدخل ابو يوسف]

ابو يوسف : السلام عليك يا ابا العلاء

ابو العلاء : وعليك السلام ورحمة الله ، مرحبا بك يا ابا يوسف ، ابسط له هذه السجادة يا ابن ابي هاشم

ابو يوسف : بل ابق مكانك يا ابا العلاء .. فها أنذا قعدت على هذه اللبدة بجانبك

ابو العلاء : أهلا بك ومرحبا

ابو يوسف : ليت شعري أكنت تصلي الصبح يا ابا العلاء ؟

ابو العلاء : بل نافلة الضحى يا ابا يوسف

ابو يوسف : نافلة الضحى ! ما ارى الضحى والصبح الا سواء عندك يا ابا العلاء ؟

ابو العلاء : اجل .. كلتاهما لله عز وجل !

ابن ابي هاشم : انه يعرض يا سيدي يبصرك !

ابو العلاء : بل بشيء آخر وقد أجبته .. والله يغفر لنا وله

ابو يوسف : كلا ما قصدت تعريضاً .. وانما غلبتني الشفقة الا يبصر النور من عنده مثل ذكاء الشيخ وفطنته !

ابو العلاء : لا ترث لي .. اني لاحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر

ابو يوسف : صدقت .. لا يحمد على المكروه سواه

ابو العلاء : كلا يا ابا يوسف .. ما هذا عندي بمكروه بل نعمة لقد صنع لي ربي واحسن بي اذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء .

ابو يوسف : اتهجوني يا ابا العلاء ؟

ابو العلاء : معاذ الله ان أهجو ضيفي .

ابو يوسف : لا غرو ان هجوتني فقد هجوت من هم خير مني !

ابو العلاء : ويحك اني لأكره ما يتعاطى الشعراء من الهجاء وقد اسقطت هذا الباب من شعري ، فما هجوت احداً قط .

ابو يوسف : صدقت يا ابا العلاء ، لم تهج احداً الا الانبياء !!

ابو العلاء :[متألما] الانبياء !

ابو يوسف : نعم .. ألست القائل :

افيقوا افيقوا يا غواة فانما | دياناتكم مكر من القدماء
ارادوا بها جمع الحطام فادركوا | وبادوا فبادت سنة اللؤماء

ابو العلاء : بلى قد قلت ذلك ولكني ما عنيت الانبياء ، فانهم لم يجمعوا حطاماً وانما جمعه آخرون فاياهم عنيت

ابو يوسف : وما تقول في قولك :

اذا رجع الحصيف الى حجاه | تهاون بالشرائع وازدراها ؟

ابو العلاء : قلت : المذاهب لا الشرائع .

ابو يوسف : بل قلت الشرائع.. هكذا رويته عن تلاميذك

ابو العلاء: سامحهم الله .. يخطئون الرواية عني وانا بعد حي!

ابو يوسف : بل هكذا امليت عليهم فلا تتنصل !

ابو العلاء : او قد ظننت انني اتنصل ؟ .. إذن فاروه عني كما تشاء ، فليس بين المذاهب والشرائع كبير فرق فيما قصدت

ابو يوسف : او تزدري الشرائع يا شيخ ، ثم تصلي الضحى وتقول انك مسلم ؟!

ابو العلاء : ويحك اني ما ازدريتها الا لاني مسلم .

ابو يوسف : انك تقصد شريعتنا

ابو العلاء : نعم .. كيف لا ازدريها اليوم وقد صار علماؤها يرون الماخور يبنى بجوار الجامع في بلدتهم فلاينكرون .

مساجدكم ومواخيركم سواء فتبا لكم من بشر!

ابو يوسف : انما تتكلف هذا التأويل تقية منك

ابو العلاء : يغفر الله لك .. ان كنت لا اخشى الله ربي فكيف أخشى من دونه ؟ [يتنهد] ما للناس ومالي ؟ قد تركت لهم دنياهم فماذا يبتغون عندي ؟

ابو يوسف : بل تركت لهم الآخرة كذلك !

ابو العلاء : [في أسى] سامحك الله يا ابا يوسف !

حورفت في كل مطلوب هممت به حتى زهدت فما خليت والزهدا

ابو يوسف : اي زهد هذا ؟ انك لتحرم ما احل الله من الطيبات

ابو العلاء : ما انا برسول فاحلل واحرم ، ولكني زهدت في ذلك رحمة بالحيوان

ابو يوسف : معاذ الله .. هو أحكم وأرحم سبحانه ، غير اني مخلوق ضعيف وتلك رقة اجدها في نفسي لا املك لها دفعاً .. فيجري ذلك في شعري كما يجري النسيب والبكاء في اشعار المتيمين من الشعراء ، فان يكن ذلك ذنباً .. فالله اسأل ان يغفره لي، فما انا بمعصوم وان لي لذنوباً جمة لا يعلمها الناس ويعلمها الله وحده .

ابو يوسف : بل جريت في ذلك على مذهب البراهمة واتبعت دينهم

ابو العلاء : الله اعلم بسريرتي منك ومن نفسي ..

ليفعل الدهر ما يهم به ان ظنوني بخالقي حسنه

لا تياس النفس من تفضله ولو أقامت في النار الف سنه!

[يقرع الباب فينهض ابن ابي هاشم ثم يعود فيسار ابا العلاء بحديث]

ابو العلاء : لا يكن هذا سراً على ابي يوسف فيظن ظناً وبعض الظن إثم .. هذه جارتك يا ابا يوسف .

ابو يوسف : جارتي ؟

ابو العلاء : نعم.. ام عيسى الدمشقية

ابو يوسف : التي تعمل في الماخور ؟

ابو العلاء : نعم.

ابو يوسف : وتريد ان تدخلها عندك ؟

ابو العلاء : إنما تعمل خادماً فيه لتعول نفسها وعيالها.

ابو يوسف : ما يدريك ؟ ائذن لي انصرف .

ابو العلاء : لعلها جاءت لتشكو لي حالها فلا عليك ان تبقى.

ابو يوسف : كلا اني لا اجالس النساء !

ابو العلاء : سامحك الله ، وهل تراني ممن يجالسهن؟

ابو يوسف : ما ينبغي ذلك لمن حج مثلي واعتمر.. ائذن لي انصرف

ابو العلاء : كما تشاء .. اشكرك على زيارتك .

ابو يوسف : لله الشكر ! [يخرج]

ابن ابي هاشم : الى حيث القت ! (ياذن لام عيسى فتدخل)

ام عيسى : أصلحك الله يا ابا العلاء يا سيد الناس !

ابو العلاء : مرحبا بام عيسى .. لعلك بخير.

ام عيسى : اهذا ابو يوسف القزويني الذي قام من عندك ؟

ابو العلاء : نعم .. جارك يا ام عيسى

ام عيسى : بئس الجار هو.. يسمع عيالي يتضاغون جوعاً بعد وفاة ابيهم فما حدثته نفسه بان يواسينا يوماً قط. آه يا ابا العلاء لو كان في قلوب هؤلاء الناس رحمة.. لو عطفوا علينا مثلك افكنت اضطر الى الخدمة في ماخور هذا العلج الرومي ؟ حسبهم الله !

ابو العلاء : اكتب عندك يا ابن ابي هاشم.

ابن ابي هاشم: (يستعد للكتابة) نعم يا سيدي

ابو العلاء :

توهمت يا مغرور انك دين علي يمين الله مالك دين

تسير الى البيت الحرام تنسكا ويشكوك جار بائس وخدين

ام عيسى : لعنة الله عليهم جميعاً .. لعنة الله على هذا البلد !

ابو العلاء : مهلا يا ام عيسى لا تلعني بلداً يحبنا ونحبه

ام عيسى : حاشاك انت وحدك يا ابا العلاء « اضحوا جميعاً يزورون عني ويظنون بي الظنون »

ابو العلاء : هوني عليك فالله يعلم انك محمولة على ذلك لاعاشة عيالك، ولعل الله يجعل لك بعد عسر يسرا.. كم تحتاجين اليوم؟

ام عيسى : كلا يا سيدي ، ما لهذا جئت اليوم (تنشج باكية)

ابو العلاء : تبكين يا ام عيسى .. ما خطبك ؟

ام عيسى : هذا العلج الرومي ...

ابو العلاء : ما باله ؟

ام عيسى : آه يا سيدي لا ادري كيف اقولها لك . ما ينبغي لمثلك ان يسمعها !

ابو العلاء : بل حدثيني لعلي استطيع ان اصنع لك شيئاً .. ما بال الرومي ؟

ام عيسى . اخذ يراودني عن نفسي ..

ابن ابي هاشم : ويل للكلب !

ابو العلاء : اعرضي عنه فلن يقدر على ارغامك .. انه فيما اعلم شيخ كبير .

ام عيسى : انه يا سيدي لا يريدني لنفسه بل للخراب الذين يترددون على ماخوره .

ابو العلاء : لا حول ولا قوة الا بالله .

ام عيسى : وقد هددني بالطرد ان لم افعل، فماذا اصنع يا ابا العلاء؟

ابو العلاء : استعصمي واصبري حتى يجعل الله لك مخرجاً .

ام عيسى : هل اترك عيالي يموتون من جوع ؟

ابو العلاء : (يتنهد) ليت هؤلاء المصلين يعلمون ؟ ليتك تصيحين فيهم يوماً ليروا كيف تنهك الحرمات بجوار جامعهم لعلهم ينتبهون ؟

ام عيسى : لقد نبهت مني غافلة ! والله لاعلنها اليوم في صلاة الجمعة !

ابو العلاء : لكن يا ام عيسى ...

ام عيسى : (تنهض) دعني يا سيدي .. سارى ان كان فيهم بقية من نخوة ؟

ابن ابي هاشم : حذار ان تخبري احداً بان الشيخ هو الذي اقترح عليك

ابو العلاء : اجل فانهم يتجنون علي كما تعلمين .

ام عيسى : كلا يا سيدي .. لا تعرفني ولا اعرفك . ما كان احراني ان افعل هذا من تلقاء نفسي . استودعك الله يا ابا العلاء (تنصرف)

ابو العلاء : (يطوف ملياً ويتربد الوجوم) ...؟

ابن ابي هاشم : هل تريد يا سيدي ان اصنع لك شيئاً ؟

ابو العلاء : لا واشكرك ، ان كنت تريد ان تتجهز لشهود الجمعة فافعل

ابن ابي هاشم : اجل يا سيدي .. سأعود اليك من العصر .

ابو العلاء : صحبتك السلامة .

(يخرج ابن ابي هاشم)

(ينفتح الباب الايسر المؤدي الى داخل الدار فتدخل امرأة شابة في رفق وأناة حتى تقف خلف ابي العلاء دون ان يشعر بها فتضع كفيها على عينيه مازحة)

ابو العلاء : سبحان الله .. من هذا ؟ (يتحسس يدها) هيه فاطمة !

فاطمة : (تضحك) كيف عرفت يا عمي ؟

ابو العلاء : ويحك يا ابنة أخي ، إنما يصنع ذلك بالمبصرين . اما مثلي فلست بحاجة الى ان تحجبي عينيه من خلفه لئلا يبصرك !

فاطمة : (تقبل عليه) انك يا عمي لتعدل الف بصير .. لقد رأيتني باللمس ؟

ابو العلاء : (كالمتعجب مما قالت) رأيتك باللمس ؟

فاطمة : نعم فانك لم تسمع لي صوتاً .

ابو العلاء : هاتي نسخة ابن ابي هاشم لأملي عليك .

فاطمة : (فرحة) حباً يا عمي وكرامة .. هذا ما كنت ابغيه . (تخرج الديوان من الخزانة) لحى الله هذا الرجل .. كلما جئت لاراك وجدته مرابطا عندك فيمنعني من الجلوس اليك .

ابو العلاء : كلا لا تسبيه يا فاطمة ، فقد الزمني حقوقاً جمة وايادي بيضاء .. لانه افنى فيّ زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه .

فاطمة : انا أولى منه يا عمي بكتابة رسائلك ، وان خطي لاجمل من خطه (تفتح الديوان) انظر .. ان خطه مثل خرابيش الدجاج !

ابو العلاء : (يضحك) ويحك كيف لي ان انظر واقارن ؟

فاطمة : ليتك يا عمي تستطيع التمييز بينهما بيدك !

ابو العلاء : افتحي قافية السين المكسورة بعد ميم ساكنة

فاطمة : (تقرأ) دعا موسى فزال وقام عيسى وجاء محمد بصلاة خمس

ابو العلاء : نعم هي هذه .. اكتبي في آخر الابيات .

(يملي وهي تكتب) :

كأن منجم الأقوام اعمى لديه الصحف يقرؤها بلمس

فاطمة : وهل يعقل ذلك يا عمي ؟

ابو العلاء : لم لا ؟ لقد اخترع الناس اشياء كثيرة ما كانت معروفة لآبائهم من قبل .

فاطمة : اذن تستغني يا عمي عمن يقرأ لك !

ابو العلاء : اجل اذن اقرأ كما اريد ! .. خبريني يا ابنة اخي متى حضرت الى الدار ؟

فاطمة : من دهر .. انتظرت في المخدع الجواني حتى انصرفوا من عندك

ابو العلاء : او قد سمعت ...؟

فاطمة : سمعت كل شيء

ابو العلاء : يا ويلتا .. اسمعت حديث ام عيسى ؟

فاطمة : نعم :

ابو العلاء : ويلك .. ما كان ينبغي لمثلك ان تسمعي مثله

فاطمة : علام يا عمي ؟ اني لاسمع الكثير ، واني لاعلم من ذلك اموراً كثيرة لا تعلمها انت .

ابو العلاء : العياذ بالله .. اكتبي عندك في باب السين
فاطمة : هات
ابو العلاء : (يملي وهي تكتب) :

قد فاضت الدنيا بادناسها	على براياها واجناسها
والشر في العالم حتى التي	مكسبها من فضل عرناسها

فاطمة : ما العرناس يا عمي ؟
ابو العلاء : المغزل .
فاطمة : (تضحك) لو قلت لوالدتي : ناوليني عرناسي هذا لحسبتني أرطن !!
ابو العلاء : ويلها لغة ضيعها بنوها ! (في أسى) لا غرو فقد اضاعوا كل شيء !

ابن امرؤ القيس والعذارى	إذ مال من تحته الغبيط
استنبط العرب في الموامي	بعدك واستعرب النبيط

فاطمة : لكنك يا عمي لو سميت الاشياء باسمائها لكان افضل !
ابو العلاء : ويحك يا ابنة اخي كأنك لست من تنوخ!
فاطمة : تنوخ ! وأي شيء كان تنوخ ؟ انا من آل سليمان بمعرة النعمان وعمي ابو العلاء !
ابو العلاء : (في صوت وقور) :

سيسال ناس ما قريش وما مكة كما قال ناس ما جديس وما طسم

« ستار »

اليوم الثاني

فاطمة : كيف انت يا عمي ؟ لقد خشيت عليك .
ابو العلاء : تخشين علي وانا في بيتي ولا تخشين على نفسك ان تخرجي وحدك في مثل هذه الهيعة الجائشة اذ الجنود والاهالي يتقاتلون في الطرق ؟
فاطمة : اني ما جئت وحدي بل اوصلني زوجي الى باب دارك
ابو العلاء : ما باله لم يدخل ليسلم علي ؟
فاطمة : انطلق ليقضي شغلا له وسيعود ليأخذني من عندك . ارأيت يا عمي كيف قبضوا امس على سبعين رجلا من وجوه المدينة ، فزجوا بهم في السجون
ابو العلاء : نعم لقد عز على أولي الامر ان يهدم الماخور فيخسروا الجزية التي يأخذونها من صاحبه .
فاطمة : الناس يقولون ان هذا كان بامر الوزير ، اذ لم يحضر الامير بعد من ضواحي حلب .
ابو العلاء : ما أمر الوزير الا سلطان الامير .

مل المقام فكم اعاشر امة	امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها	وعدوا مصالحها وهم اجراؤها

ابن ابي هاشم : (يقرع الباب) يا ابا العلاء .. هل عندك احد ؟
ابو العلاء : نعم يا ابن ابي هاشم ، انتظر قليلا حتى يخرجوا من عندي
فاطمة : أوه .. ماذا يصنع عندك الآن ، ولا قراءة ولا املاء ؟
ابو العلاء : صه .. لا يسمعك
فاطمة : قل له يدخل فقد خرجت (تنسحب)
ابو العلاء : (بصوت خافض) ويلي من النساء يخرجن ويتركن وراءهن أثرا من عرفهن ! (يروح بطرف ردائه ليطرد العرف الذي خلفته فاطمة) ادخل الساعة يا ابن ابي هاشم !
ابن ابي هاشم : (يدخل) السلام عليك
ابو العلاء : وعليك السلام .. ماذا وراءك من انباء ؟
ابن ابي هاشم : نبأ عظيم يا سيدي .. قد وثب رجال المدينة بالوزير ، وكادوا يبطشون به لولا ان فر ناجياً بنفسه وفر جنوده معه ..
ابو العلاء : والسبعون رجلا المحبوسون ؟
ابن ابي هاشم : أطلقوهم جميعاً وقرروا اغلاق أبواب المدينة والدفاع عنها بانفسهم
ابو العلاء : لله در ام عيسى ! لقد فعلت خطبتها في الجامع مالم تفعل الف خطبة من على منبره !.. لكن هؤلاء قد اخطأوا في الوثوب بالوزير قبل ان يروا رأي الامير لعله لا يقر عمل وزيره .

ابو العلاء : فقد ناصبوه العداء بعملهم هذا قبل ان يعرفوا ما عنده .. ليت شعري ماذا فعلت ام عيسى إني عليها لمشغول فما اتاني عنها شيء منذ يوم الجمعة

ابن ابي هاشم : اتريد يا سيدي ان اعلم علمها لك ؟

ابو العلاء : افعل مشكوراً وخذ هذا الدينار لها لعلها تحتاجه .

(يأخذ ابن ابي هاشم الدينار فيخرج)

فاطمة : (تدخل) اما إنك لحفي بام عيسى هذه .. اتراها يا عمي اعجبتك ؟

ابو العلاء : يا فاطمة لا تسخري بامرأة مسكينة !

فاطمة : امسكينة هذه انثى هيجت المدينة واشعلتها نارا ؟

ابو العلاء : لو احسنوا اليها ما وقع هذا الذي وقع . إنها تعول ايتاماً لا كاسب لهم ، ولا ادري كيف حالها وحالهم اليوم . قاتل الله الايام ما ابقت لي على مال!

فاطمة : اضعت مالك يا عمي على الناس

ابو العلاء : هل تحبينني حقاً يا فاطمة ؟

فاطمة : كيف لا وانت فخري وفخر آل سليمان ؟

ابو العلاء : فطوفي غداً على آل سليمان هؤلاء ، واجمعي منهم ما تجود به نفوسهم لهذه الارملة واولادها

فاطمة : حباً يا عمي وكرامة

ابو العلاء : على ألا تخبريهم اني انا الذي بعثتك .

فاطمة : فيم يا عمي ؟ إنهم سيطيعون جميعاً امرك ويبادرون لتحقيق رغبتك

ابو العلاء : كلا يا فاطمة ، اجعلي هذا كأنه من تلقاء نفسك

فاطمة : انك لا تطلب شيئاً لنفسك

ابو العلاء : اطيعي هذا الشيخ الضرير الذي جعلته فخر آل سليمان

فاطمة : سمعاً وطاعة .

ابو العلاء : اين زوجك هذا ، اما آن له ان يجيء لاخذك ؟

فاطمة : او قد ضجرت مني ؟ دعني أبق قليلا عندك .

صوت : (يسمع من الخارج) يا ابا العلاء !

فاطمة : ها هوذا زوجي ، قد جاء ليريحك مني !

ابو العلاء : (يضحك) دعيه يدخل.. ادخل يا سليمان !

« ستار »

اليوم الثالث

(تسمع اصوات المجانيق تضرب المدينة)

ابو العلاء : الا تكف هذه المجانيق لحظة ؟ ويلهم لقد روعوا النساء والاطفال ؟

ابن ابي هاشم : هذا ابن مرداس لا يرحم . لم لا يسلمون له فيحفظوا البلدة من الدمار ؟

(يقرع الباب بشدة)

ابو العلاء : انظر يا ابن ابي هاشم من هذا .

(يفتح ابن ابي هاشم الباب وهو خائف ام عيسى فزعة ومعها اولادها الثلاثة)

ام عيسى : ادركني يا ابا العلاء وادرك اولادي الصغار .. احمنا عندك !

ابو العلاء : ما خطبك يا ام عيسى ؟

ام عيسى : بعض الرعاع يريدون ان ينتقموا مني ومن اولادي .. زعموا اني سبب هذه المصيبة الحاقة بالبلد

ابو العلاء : لا تراعي يا ام عيسى .. ادخلي واياهم الى المخدع الجواني ريثما ادبر لكم مأوى تأمنون فيه

ام عيسى : حماك الله يا ابا العلاء (تخرج واولادها من الباب الايسر)

(تسمع اصوات من خارج الدار وجلبة جمع كبير)

ابو العلاء : ما هذا ؟

ابن ابي هاشم : يا ويلنا .. لعلهم رأوها حين دخلت هنا فجاءوا يطلبونها

اصوات : يا ابا العلاء ! يا ابا العلاء !

ابن ابي هاشم : (ينظر من الكوة) هذا جمع غفير من الناس

ابو العلاء : من الرعاع ؟

ابن ابي هاشم : بل من وجوه الناس .

ابو العلاء : الحمد لله .. افتح الباب

ابن ابي هاشم : (يفتح الباب) ماذا تريدون !

كبير القوم : نريد ان نكلم الشيخ ابا العلاء

ابن ابي هاشم : فليدخل بعضكم فان حجرته لن تسعكم جميعاً .

الكبير : اجل سندخل نحن السبعة اليه

(يدخل سبعة رجال فيهم ابو يوسف)

الكبير : السلام عليك يا ابا العلاء

ابو العلاء : وعليكم السلام .. خيراً ان شاء الله

الكبير : قد رأيت ما نحن فيه اليوم ، وليس للامير صالح بن مرداس غيرك يا ابا العلاء

ابو العلاء : ويحكم ماذا يستطيع شيخ ضرير مثلي ان يصنع ؟

الكبير : ان لك مكانة عنده فاخرج اليه واشفع لاهل بلدك

ابو العلاء : لكني لا اعرفه ولا هو يعرفني ، فكيف ترجون ان يقبل شفاعتي ؟

ابو يوسف : لا تعتذر يا ابا العلاء ، فكما اوقدت انت الفتنة فحق عليك ان تطفئها !

ابو العلاء : أأبو يوسف هذا ؟

ابو يوسف : نعم

ابو العلاء : يغفر الله لك يا ابا يوسف ، هل يقدر مثلي ان يوقد او يطفىء ؟

ابو يوسف : نعم انت الذي اوعزت الى تلك المرأة ففعلت ما فعلت .. لقد رأيتها ضحى الجمعة عندك .

ابو العلاء : سامحك الله ، فقل لهم اذن يستشفعوا بغيري فان الامير لن يقبل لموقد الفتنة شفاعة .

الجميع : كلا يا ابا العلاء، انا لا نعتقد ذلك اسكت، انت يا ابا يوسف

ابو العلاء : لم لا توفدون ابا يوسف ، فانه لاوجه مني وارجى أن يأتيكم بعفو الامير .

الجميع : كلا لا نريد سواك .

الكبير : انت رجل هذه المدينة، ولن يحترم الامير صالح غيرك

الجميع : افعل يا ابا العلاء وارحم قومك واهل بلدك

ابو العلاء : انتظروني إذن لاصلح ثيابي (ينهض ويتوجه نحو الباب الايسر ليخرج)

الجميع : ابقاك الله يا ابا العلاء

***

(في معسكر صالح بن مرداس خارج المدينة)

احد رجاله : عجبا .. هذا باب المدينة قد فتح ايها الامير !

آخر : وخرج منها رجل يقاد كأنه اعمى !

صالح : ويلكم بطلوا القتال !

اصوات : (من كل جانب) بطلوا القتال ! بطلوا القتال !

صالح : ان يصدق ظني فهذا ابو العلاء الشاعر

الاول : ابو العلاء الزنديق ؟

صالح : قبحك الله .. ما انت وذاك ؟

الاول : معذرة يا سيدي الامير .. هكذا يقال .

صالح : زنديق او غير زنديق .. انه من اعاظم الرجال . استقبلوه لنرى في اي امر جاء

(يقبل ابو العلاء يقوده ابن ابي هاشم)

ابو العلاء : السلام عليك ايها الامير الجليل !

صالح : وعليك السلام .. أانت الشيخ ابو العلاء ؟

ابو العلاء : نعم يا سيدي ، هكذا يدعوني الناس .

دعيت ابا العلاء وذاك مين ولكن الصحيح ابو النزول

صالح : بل انت ابو العلاء حقاً وابو الصيت الطائر والشرف الباذخ (يصافحه ثم يجلسه الى جانبه)

ابو العلاء : رعاك الله يا ابن مرداس يا سيد الناس .

صالح : مرحبا بك هل من حاجة فاقضيها لك ؟

ابو العلاء : اجل يا سيدي الامير ، حاجة مائة الف من شيوخ ونساء واطفال كلهم يرجو عظيم عفوك .

صالح : الم تعلم بما جنى سفهاؤهم ؟

ابو العلاء : بلى يا سيدي الامير .. لولا هذه الجناية ما خرجت اليوم من حيث حبست نفسي منذ نيف واربعين عاماً لارجع من عندك بعفو يشمل الجناة الذين ندموا على ما فرط منهم والابرياء الذين صلوا بجمر نار لم يوقدوها !

صالح : هذه اول مرة تخرج من دارك ؟

ابو العلاء : إي والله ، وسارجع اليها بعفوك ، ولن اخرج منها – ابقاك الله – الا محمولا على الآلة الحدباء، الى حيث يطول الثواء، وتنقطع الانباء، والى الله المصير

صالح : قد والله أنلتني شرفاً باقياً ما بقي للشعر رواة في الدهر ! ولكن قومك يا ابا العلاء قد جاءوا امرا إدا

ابو العلاء : الامير – اطال الله بقاءه – كالسيف القاطع لان متنه وخشن حداه وكالنهار المائع قاظ وسطه وطاب أبرداه .

خذ العفو وأأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين .

صالح : قد وهبتها لك يا ابا العلاء

ابو العلاء : وهب الله لك خير الدنيا وخير الآخرة .

صالح : افلا تنشدنا شعرك ؟

ابو العلاء : يا سيدي الامير لو تقدم مثولي بين يديك لاثنيت عليك بما تحسدني عليه فحول شعراء العرب . اما اليوم فقد حال الجريض دون القريض .

صالح : اني لمن رواة ديوانك سقط الزند

ابو العلاء : قد كبا ذلك الزند ايها الامير فلم يعد يوري وما بقي الا لزوم ما لم يكن لازماً من قيود الزمان والمكان حتى يبلغ الكتاب أجله .

صالح : فانشد من لزومياتك ليكون لنا شرف روايته عنك

ابو العلاء : بل يشرف الشعر بروايتك ايها الامير .

صالح : علي بالقرطاس والقلم ! (يحضرون له القرطاس والقلم)

ابو العلاء : (يرتجل وصالح يكتب)

تغيبت في منزلي برهة ستير العيوب فقيد الحسد
فلما انقضى العمر الا الاقل وحم لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعا الى صالح وذاك من القوم رأى فسد
فيسمع مني سجع الحمام واسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبني هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسد

صالح : لله درك يا ابا العلاء ما احسن والله ما ارتجلت اللهم الا قولك :

فيسمع مني سجع الحمام واسمع منه زئير الأسد

ابو العلاء : فيم يا سيدي الامير ؟

صالح : نحن الذين تسمع منا سجع الحمام وانت الذي نسمع منك زئير الاسد . ارجع يا اسد المعرة بالامان لاهلها وأوصهم الا يتعرضوا للحمام مرة اخرى !

ابو العلاء : (ينهض لينصرف) احسن الله اليك ايها الامير الكريم .. لقد عشت ما عشت فلم اشهد كاليوم ذا لبلدة من بني البغيل يزعم للناس انه من بني الهديل !

« ستار »

القاهرة — علي احمد باكثير

افراح الربيع

بقلم رضوان ابراهيم

الربيع في المهد ..

وامطار الشتاء ما زالت تغذوه بدرها الطهور .

والرياح تؤرجح هـذا المهد بيد رفيقة ناعمة ..

ومع الربيع يستيقظ الحب الوليد ويتفتح ..

.. رويداً .. رويداً كما تتفتح اكمام الورد عن ألوانها الزاهية وعطورها الشذية

وعلى دفء الربيع تتأجج العواطف ، وتضاعف القلوب خفقانها .

وفي فورة الربيع تتدفق تيارات الحب في دم الشباب ، فينبعث حاراً ، يضرج الوجنات ، ويزيد الأعين بريقاً ولمعانا!!

***

هذه الشمس .. عروس في شهر العسل احتجبت طويلا عن عشاقها في دلال وخفر ! !

حتى اذا خطبها الربيع سفرت ، ثم تبرجت ، ثم سبحت عارية في لجة البحر الابدي الازرق ..

.. تضحك للكون ضحكاتها الرنانة كقطع الذهب ، ارتجت ، فوقعت في النار فتوهجت ، ثم سالت فتطايرت أشعة تملأ ما بين السماء والارض وهجاً يدفيء الاجسام ، ويؤجج الارواح ، ويملأ الكون بهجة وسروراً !!

.. وهذا الشباب يزجي زورقي الحالم على هذه اللجة الذهبية ، علّ قلبي يغترف من صفائها غرفة تنسيه شقاءه ، وترد عليه بهجته !!

***

وهناك .. على جوانب الطريق اشجار اشجـار كانت بالامس جرداء .. متباعدة .. منكمشة .. مستسلمة للرقاد الطويل ..

☆

كأن البرد قد استبد بماء الحياة فيها فتجمد ..

والرياح تزلزل اغصانها المخشوشبة فتتلوى في قبضتها ..

لمستها يد الربيع لمسة ساحر ، فاندفعت الحياة تتوثب في شعابها ، فتأودت اعطافها الرشيقة ، وتمايلت قدودهـا كرقصات العذارى !!

وامتدت اغصانها فتدانت ورقت همساتها كأحبـة يشفقون ان يبعثر النسيم اسرار حبهم !!

ثم اصطبغت خضرتها الناعمة بحمرة الشفق الدموية ، وتضرجت خدودها ، كأنما تفجرت فيها ينابيع الحب حمراء ، تقدم دماءها الشهيدة قرباناً لعشاقها ..

وتلاقت الازهار كشفاه تلتقي خلسة على قبلة احلى من الرحيق ، واعذب من ماء النيل ! !

وتهدلت الاغصان ، فتشابكت ، كعشاق حلا لهم العناق تحت أشعة البدر الندية المرتعشة !!

فيا للشباب في الطبيعة !! ويا للجمال في الشباب !! ويا للحب العبقري للجمال البديع !!

***

وهذه الازهار .. براعم .. براعم ، اغتسلت بالندى ، ثم انتشرت تحت اشعة الشمس تستدفيء ، فاحترقت براعمها ، فبدت عريانة أزعجها عريها فاصفرت ، واخجلها قدها المياس يترنح تحت النظرات العاشقة الملتهبة ، فسرى فيها لون الدم وحرارته .. وابتسمت خجلى فبان منها اللؤلؤ الطهور !!

ورقصت على انغام النحل النشوان بالرحيق المعطر ، فملأت الجو عطراً عبقاً ، جذب اليها النحل الآدمي ، فرأى فابتهج وسمع فطرب ، وشرب فسكر بالحب ، وعربد بالجمال ، ورقص على ملاعب الشباب .

واقتطف عذارى الروض ، فنسجها اكاليل تتوج الرؤوس الحالمة ، وألفها باقات تزين الصدور النواهد !!

فلم لا تتجرد معها الارواح وتسبح سبحاتها ، فترقص مع الزهر ، وتطن مع النحل ، وتعب من الرحيق والعطر ، فلعلها لا تدري ما وراء يومها ، ولا ما يطويه غدها ؟ ؟

***

وذلك الطير .. أسراباً .. اسرابا .. قد ألف الربيع جماعاته ، ووحـد الشوق ألافه ، ووقع الحب على مناقيره الذهبية الحانه ، فلا تنفرج الا عن اغنية سماوية ، ولا تنضم الا على قبلة حارة ! !

وخف الهوى بأجنحته ، فسبحت في لجة المستقبل ، تبني العش ، وتستهدف الاستقرار !!

فتعال يا قلب نمرح مع الانسام ، ونغرد مع الطير ، ونؤلف الحياة انشودة عذبة تنظمنا في عناصر الطبيعة الحبيبة ، وتسري بنا الى الملأ الاعلى !!

***

فهنا الطبيعة تتبرج كعروس امام مرآتها ليلة الجلوة !!

وهنا النسيم يتأوه .. يتاوه كلما فارق

العقاب الزجري

كنت شاهدت في احدى دور « الخيالة » ببغداد فلما اسماه مترجمه «السجين» ولست اريد استعراض ادواره ، او الحكم عليه سلباً او ايجاباً ، فما نحن وكتابة النقد المسرحي في شيء ... انما وددنا ان نشير الى « ظاهرة » ترتكز عليها فكرة العلاج الاجتماعي التي يحاول الفلم اظهارها للجمهور ..

والظاهرة تلك .. على ما يعتورها من وجهات نظر متباينة من الخطورة والاهمية بمكان !!. ولعل الفكرة الاصلية للروائي البارع ، كانت تدور ، مبتعدة تارة ، ومتقاربة اخرى ، حول السبل والتدرجات التي كانت تبدو مرتبكة الاصول والمقاييس – ولكنها بذاتها – لا تخرج عن « جوهرية » الهدف الذي رمى اليه المؤلف ... والفكرة هي ان السجن لا يصلح ساكنيه ولا يرتفع بنزلائه الى المستوى الذي من اجله وجدت السجون والمعتقلات .

فهذا رجل من ضيوف السجن تعود بطبيعته ان يؤتمن على السر ولو عذب في سبيل ذلك العذاب الشديد . وكان كتمانه هذا السبب الاصيل في تلبس الجريمة البريء عنها وبشخصه .

وذاك رجل من نزلاء السجن ايضاً عامله الرئيس بالحسنى والاحترام فما كان منه الا ان جرد حسامه يوما ما فقتل رجلا عن عمد وسبق اصرار ، وتهرب هو من التهمة ولوث بها صاحبه « كاتم السر » .

والرجلان – بحدودهما الروائية غاية في البساطة – ولكن خلف هذا تقف المسألة الخلقية في الاجرام !.

ترى كيف يصلح المجرم اذا انتفى اصلاحه حتى عن سبيل السجن ؟؟. وهو في بلد متمدن لا يشكو ما نشكوه نحن من عوز في الحياة الاجتماعية، وضعف في الروح وتدهور في القيم والمعايير؟؟!

وهل ان القصاص او العقاب رادع له عن القيام بعمل مشابه في مستقبل قريب ؟ . الامر – واقعاً – يخرج هنا من صياغته الاجتماعية الى صياغته الميتافيزيقية فتتفاوت المعايير على انها متفقة على منافاة العقاب جرياً وراء فكرة الانسان المسير ، لا المخير..

ولكننا لسنا الآن في مرحلة ميتافيزيقية من حياتنا هذه ، التي تدعونا الى تجديد النظر في المسائل الاجتماعية ومدى فعاليتها في تحقيق الاعمال « السلبية » و« الايجابية » يقول الاستاذ جويو في هذا الصدد : ان العدالة الجزائية ذات صبغة اجتماعية صرفة ، ولا يمكن ان تبرر الا من وجهة نظر المجتمع ، وما نسميه عدالة ان هو الا فكرة انسانية نسبية .. فالعقاب اذا لم نبرره بمبررات الحماية الاجتماعية اشبه بالجريمة نفسها ، فما يفضل السجن ساكنيه ، ولا يكون المشرعون والقضاة الذين يوقعون جزاء في الجناة والمجرمين ، الا جناة ومجرمين . ويعتقد جويو هنا ان التدبير الاجتماعي للعقاب والتكفير « سبب كاف » لقيامه رغم منافاة العدالة الميتافيزيقية عنه ..!

ونعود الى الموضوع فنقول :

ان « المشكلة » في غاية الخطورة، والدعوة لن تقوم بطرف واحد منها ، بل بدمجها بعضها البعض . واستخلاص العلاج النفساني والاجتماعي والطبيعي للمجرم ...

فان لم يكن النجاح حليفنا، فلا بد ان نكون اقرب اليه من اي سبيل آخر .

دمشق — بهاء الدين شوقي الرفاعي

زهرة ، او اجتاز روضة ، او سبح في غدير !!

وهنا البحيرة تداعبها الانسام الحلوة فترتعش ، وكانها تضحك ضحكات المرح والشباب والهوى !!

وهنا عرايس النيل الحسان، يمرحن في المروج ، يهتفن بالحب ، وينشدن اناشيد الحصاد ، ويرتعن في ظلال النخيل ويتردن في مياه الغدير !!

وهنا..هنا افراح الحياة ومسراتها.
هنا الربيع يا قلبي .

القاهرة — رضوان ابراهيم

زقاق

من ملحمة شعرية كبيرة تصور
بعض احياء بغداد

✡

لصفاء الحيدري

•

بغداد

✡

حزمة من حبال

ودجا الصمت، فاستفاقت عيون، واطلت من الكوى أشباحُ
وتراءت خلفَ النوافذِ أنصاف وجوه أدالتهن السفاح
أطّرتها ضفائر تتدلى كالثعابين ونحتها الرياح
وتبارتْ الى المسارج ايدٍ عاريات كأنهن رماح

***

ومضى الليلُ ساهراً فاضاءت عطفاتِ الطريق بعض طيوفِ
وظلال المسارج الصفر تومي للشبابيك بارتعادٍ عنيف
لاهثات ، كأنهن يؤبّن الاماسي بصمتهن المخيف
ويشيعنَ حيرة الطفل الواجم عبر الترقب الملهوف

***

وسرى في ليل الازقة صوت ، رددته حناجر الاصداء
ماجن ، عابث الاناشيد يدعو للدنايا غوارث الاهواء
فتدلت من السطوح وجوه ، وصدور مصلوبة الاثداء
ورؤوس كأنهن وكون ، هجرتها الطيور للأنواء

***

واستفاق الطريق تصهل فيه لاحداث الهوى، عجاف الظلالِ
حاملات مراضعاً، صدئت فيها الاماني، فغوّرت كالسلال
وصهاريج اضلع غام فيها القُ النور ، كالكهوف الخوالي
ضحلات لم تبقِ فيها المنايا ، غير جلد ، وحزمة من حبال

***

يتقاسمن بينهن حظوظاً ، من بقايا إنسانهن الوضيعِ
حاملات جرارهن على الصدر تهالكن فوق وحل الضلوع
جائعات الاعراض ، يعرضن للبيع بقايا شبابهن الخليع
نصب دونها ، جهابذة الماضي ، من الفن والخيال الرفيع

***

والفوانيس في الطريق عيون ، جاحظات يلفهن فتورُ
حملتهن أعضدٌ وشمتها بالمنايا مقادر ودهور
هرمات ، كأنهن دوالي الكرم ، يشوي حباكهن الهجير

***

شرايين من طين

نام الا السنا ، يغمغم في الدرب، ويلقي على الجدار قنوطهْ
يستحم الزقاق في نوره الدافي، ويرمي عن منكبيه شطوطه
والضباب الكئيب، حول الفوانيس، يكاد الدجى يلم خيوطه
تتهزا به الرياح ، فيرتد ويدنو ، كالاوجه الممطوطه
ويعود الدجى ، فتنسج كفّاه ، على حافة السنا اخطبوطه

***

كل شيء ، كأنه ينسج الموت ، ويلهو بمعطف الظلمات
فالغواني ، كأنهن تماثيل عجين ، يهتن في العتبات
زادهن الدجى شحوباً ، فغلفن صدوراً ممصوصة الرغبات
وتعكّزن في الطريق، بعمدان الفوانيس ، كالدمى الميتات

***

يتنطّرن في الازقة قلباً ، عقه الله حفنة من طينهْ
بصقتها العواصف الهوج في وجه الليالي ، شتيمة مأبونه
وصقيعاً من حمأة نسختها لعنة الرق ، لذة مسنونه
تنفيا مطارح اللهو في الليل ، فتكبو على جراح دفينه
كلما اشبعت ، أجاع بها الأثم ، قبوراً مفغورة مسكونه

***

الطريق العفناء ، مات بها الحس ، فصمّت كدودة مسمومه
خنقتها الوحول ، فهي شرايين من الطين ، هشة محمومه
يتنزى بها سراج من النور ، ضئيل كأنه جرثومه
لم تعد تنحر الرغائب ليلا ، فوق اعتابه الاغاني القديمه
او تنديه قبلة من ملاك ، طاف ليلا على البيوت الهديمة

امسية خريف

بقلم فؤاد التكرلي

سار بخطوات لينة مخترقاً الشارع المشجر ، كان طويل الجسم يرتدي ملابس زرقاء غامقة وعليه مسحة غريبة من السكون . والشمس لم تكن قد غربت بعد ، وبعثت اشعتها الصافية الحمرة تحتضن رؤوس الاشجار العالية . السماء رقراقة شفافة بلورية الزرقة ، ليس على صفحتها الملساء غير غيوم خفيفة . ذكره هذا المساء الخريفي الرطب الهادىء ، بالشتاء المقبل وبجليد الشمال ، ابيض ، ابيض كالقطن ، فابتسم بهدوء . كم قضى من ايام سعيدة هناك ! هناك .. هناك في الموصل ، وخطر له ان يبعد عنها سفر ليلة بالقطار السريع . يسير في الليل المظلم البهيم ويصل بغيته صباحاً على زقزقة العصافير ، لا يوجد اجمل من هذا القطار ، هذا القطار العزيز . ومع ذلك فلم يركبه منذ سنة و نصف . كانت علاقته بالموصل قد انقطعت ، لكنه لما يزل يحب قطارها

قصرت خطواته وبدا على وجهه الطويل المحلوق حزن خفيف ، ثم انطبع على عينيه الواسعتين العميقتين شرود عن العالم وتطلع الى افق قصي . رجعت الى ذهنه ، انبثقت فيه ، صورة جميلة رافقت جميع ايامه الحلوة في الموصل . عينان زرقاوان شاحبتا الزرقة ، وملامح دقيقة شفافة البياض ، شفتان طريتان ، وشعر ذهبي ناعم . كان يلمس شعرها بحنو فتسري نعومته السحرية في حنايا جسمه ، فتبتسم الشفتان الطريتان وتبتسم هي له وتبتسم عيناها لعينيه . تبتسم عيناها لعينيه ، فتضيقان قليلا وتبتل جوانبهما بمثل قطرات الندى وتشحب زرقتهما الفرحة . وشعر ببرودة نسمة هبت من بين الاشجار فاغمض عينيه فترة « ما هي حياتنا هذه ؟ نتماسك ونبذل جهدنا ، لكن ذكرى عزيزة واحدة تخرب كل شيء » تخرب ارادته في الا يعيش مع هذا الخيال ، هذا الطيف المحوم الذي لم يعد بعد داخلا في حياته « لمَ تزوجت اذن ؟ » وادرك في الحال عوز سؤاله لأي معنى . كانت بديعة حلوة مثل الربيع ، ذكية كأنها الحياة كلها ، ولم يرَ شيئاً ناقصاً فيها سوى انه احبها اكثر مما تحب المرأة . وعندما تعرف عليها ، تذكر في لحظة كل شيء ، وصافح اليد البضة الممتلئة وضغط عليها واحس بحرارتها ، تلمس بوضوح الرباط الخفي الذي ضم بينهما . كانت تلف جسمها ـ اوه ، جسمها الآلهي ـ برداء ابيض ضيق بعض الشيء ، وكانت تكشف عن ذراعيها . عندما جلس قربها يحدثها ، شعر بدفء غريب ينبع في قلبه ويسبغ عليه روحاً من السرور . كانت مؤدبة ، لطيفة ، ساحرة . ولم يدر ماذا يعمل لها ان لم يتزوجها .

وتركت اضواء الشمس الحمراء ، حمراء كشفتيها ، رؤوس الاشجار وشعشعت في غيوم خفيفة فصبغتها بلون الدم . وتسلل نسيم مبلل من بين الاغصان الساكنة فعبث بخصلة من شعره . كانا معاً في غرفتهما وهي ترفع باصبعها البارد اللين خصلة من شعره تقع بعد حين قصير ، وكانت تريد ان تفنى فيه . ولكنه ، وهو يشعر بدفئها قربه وحيويتها ، رفض ذلك ببسمة خفيفة وحذرها من هذا الفناء فيه ـ « لمَ لا اكون داخلة في نفسك كأنني انت ؟ » قالت ذلك مخلصة ، تلك المخلوقة الحبيبة ، ورفعت الخصلة والتصقت به . « الم اقل لك حذار ! انك حبيبتي ، وانت زوجتي العزيزة ، ولكن لا تكوني لي صدى . ساكرهك آنذاك » وقبلها وامتص طراوة شفاهها وحرارتها . « دعيني اسعد معك وتسعدين معي ، لاننا عالمان يبهج احدنا الآخر » . فتكور خداها الابيضان الصقيلان في ضحكة ذات مغزى « هل تظنني لا افهمك مطلقاً ؟ » كلا ، كلا ، لم يظن انها لا تفهمه جيداً . كان يعلم ان فيها بذرة طموح وذكاء وخصب ، وقد جعلتها عبادته لجسمها وروحها تشعر بلذة الخلق . وهكذا قضيا سنتين ، سنتين في الجنة . نمت نفسها ، شخصيتها ، في اشهر قلائل نمواً لم يتوقعه لها . اخذت تقرأ كتبه ، وقد كانت متهجسة اول الامر ، تخاف الا تكون نداً لما تحاوله . قالت له يوماً وكانت مقطبة الحواجب يظهر الضيق على وجهها الرائع « قرأت كتاباً عن الفلسفة اليونانية » ثم هزت رأسها فتمايل ذهب شعرها « ولم افهم منه شيئاً » . « هل اكملت الكتاب ؟ » « كلا » ـ « اكمليه في المرة القادمة » وهنا اضاء بعنف نور داخلي فيها ، تطلعت اليه مترددة قليلا ثم رفعت يدها فحكت خدها الايمن ـ كلا ساهمل كل كتاب لا افهم منه شيئاً »



وتداخل الظلام الكثيف بين اشعة الشمس الصفراء ، فخفقت خفقات بسيطة وارتفعت

من الغيوم الخفيفة العالية الى سماء لا ترى ، وكان الشارع المشجر قد انتهى وانفسح امام بصره فضاء عريض فوقف برهة . عاد الى نفسه فتذكر موعداً نسيه بين طيات هذه الذكرى ، فرجع ادراجه ودلف بعد سير قصير في طريق ضيقة . كان الظلام باهتاً ، لكن انوار الدار الصغيرة لفتت نظره من بعيد فعرف انه وصل بعد الوقت المضروب .
« لا بد ان بعضهم جاء قبلي ، ماجدة وحفلاتها التي لا تنتهي » . ثم ضغط على زر الجرس ، ففتح له الباب بعد قليل — «مساء الخير» فأجابته الشابة الجميلة — « مساء الخير عمي ، تفضل . » كانت سوداء الشعر سوداء العينين واسعتهما ، وكانت بشرتها بيضاء صافية . دخل وراءها شاعراً بمرح يفاجئه ، كانت قصيرة ممتلئة الجسم تتحرك بحركات لطيفة لا تكاد تمس الهواء . خطر له « هذه صديقة فتانة فقدتها » كانت تفهمه وتنصت اليه حين يكلمها وتعتبره رجلا كاملا . وكان يحاول دائماً الا ينظر اليها كأبنة اخيه ، افهمها دائماً انها امرأة ، شخص منفرد لا ينقصه شيء ، وأنها له صديقة عزيزة . ولكم جلسا معاً يكلمها فيسحرها ، ولكم تنزها في الحدائق قرب بيتهم وسارا لا يحسان بالزمن . دخلا قاعة ذات ضوء بديع فسلم على الجالسين فيها وصافح بعضهم ثم جلس قربها على كرسي طويل — « هل اقول لك بالانكليزية Happy Birth Day ؟ » فابتسمت — « لا حاجة ابداً . خذ راحتك وتكلم بالعربية » فضحكت من صميم قلبه — « طبعاً ، طبعاً . ما هي ؟ كتاب ، اليس كذلك ؟ » فاخرج لفافة من جيبه — « لم تعد مفاجئة مع الاسف » . اختطفته من يده واسرعت تقوم خارجة من القاعة — « لن اري هديتك لاحد » — « لماذا ؟ الا تستحق ان ترى ، ام انهم هم الذين لا يستحقون ؟ » « هم ؟ هم بالتأكيد » واختفت وراء الباب .

تزوجت قبله دكتوراً غنياً . كان طويلا سميناً ذا عقلية عامية تافهة ونفس كابية فقيرة . وكانت فتاة صغيرة آنذاك فتألم لزواجها ألماً عجيباً لم يتصوره . حدثوه عن خطبتها ذات مساء ، فخرج ذاهلا لا يعلم سبب ذهوله ، وخرج متألماً لا يعلم سبب ألمه . لم تكن مستعدة لحياة مثل هذه التي بيتوها لها ، وكان يشعر بذلك شعوراً طاغياً . ولحسن حظه لم يرها بعد زواجها ، فقد سافرت مع زوجها لقضاء شهر العسل ، لكنه كان ينتظر تغيراً فيها ، وكان لهذا الانتظار قلقاً حزيناً .

اشعل سيجارة وسحب نفساً عميقاً منها . جو القاعة كان مليئاً بالدخان وحرارته عالية واحاديث الجالسين ترتفع وتمتزج فيه بصورة مزعجة . ذكره هذا بحفلة اقامها مع زوجته في الموصل ، فعاد لعينيه العميقتين شرودهما وتطلعهما الى افق قصي . كان نور الغرفة وردياً خفيفاً لا يوازي العين ، ورائحة الدخان والفوضى التي تسود الأثاث تعطي انطباعاً بانتهاء حفلة ناجحة . وكانت زوجته في ثياب خضراء داكنة ، أنوثة طاغية محرقة ، وقد جلست باحتشام وعلى كرسي امامه تشاركه تدخين سيجارة اخيرة قبل النوم . النوم ! آه . النوم معاً وعلى فراش واحد دافىء ، مع حورية مثل زوجته . احس بنفسه يشتعل . لم يرها لحظة تختلط مع اصدقائه وزوجاتهم الا وشعر بجنون رغبة قوية يحرقه . كانت معبوده حتى حين تبتسم الى رجل آخر . معبوده الجميل ، خدودها المتوردة الصقيلة ، شفتاها الحمراوان حمرة شديدة ، وعيناها مكحلتان شاحبتا الزرقة ، ولحمها بض حار ناعم .
جلسا بسكون ، ينظر اليها فتحاول ان تتحاشى نظراته وتحاول ان تنزل طرف ثوبها على غير عادتها . لم يبد عليها انها تريد ان تتكلم ، لكنه تهجس بما تضمره . رأى عينيها تعبران عن قلق لا يحتمل ، كانت عيناها تتكلمان وتقاومان وتشتهيان وتتعذبان ، لكنهما الليلة كانتا تعبران عن قلق لا يحتمل . وبقيا جالسين بسكون .

وبقيا جالسين بسكون، كم طال هذا السكون! ثم اطفأت سجارتها بانامـل ترتجف وباداته «ما رأيك بعبد السلام؟» «هذا الضابط شقيق سعيد؟» فهزت رأسها بصبر نافد ان نعم. «فارغ» «فقط»؟ و«معجب بك ايضاً. انظري ان اعجابه يزعجني. انك لا تردينه» قطبت حاجبيهـا الاسودين، ود لو قبلهما «ماذا تعني؟» «لا شيء مطلقاً».وتخيل الفراش الدافيء، واللحم البض الحار الناعم. «اسمع» اندفعت هكذا فجأة «اني احترمك كزوج» فافزعته في حلمه، افزعه القلق الممزق الذي انثال من عينيها الحلوتين «لكنني اعتبر نفسي حرة بعواطفي. ولهذا السبب اتصلت بعبد السلام». كانت تعصر اصابعها ورآها تضغط على اسنانها بعنف. لم يفهم كلماتها اول الامر، ووجف قلبه، ثم احس بنفسه يضطرب، بداخله ينقلب الى قطعة لينة تماوج ثم توشك ان تنهار، لكنها تعود ثابتة ثم تماوج وتماوج وتميل الى الانهيار... الانهيار التام وفي لحظة خيل اليه ان حرارة غريبة تسري بلين من وسطه الى الاعلى.. الى رأسه، فالهبت قلبه ثم طيشت ذهنه. «ماذا تقصدين؟ لماذا تكلمين هكذا؟» ولم يكن هذا صوته، كان خشناً قبيحاً متردداً ويبدو انه اخافها فاسرعت تريد ان تنجو من هذه الدقائق النارية «اظن قصدي مفهوماً» ثم اخرجت منديلها الحريري الابيض وصارت تشده وتتركه بين اصابعها «لا تعذبني يا طارق. اني اتكلم بهذا الشكل كي تعرف أني لست منحطة. لست حيوانة انا احترمك، لكنك لا تستطيع ان تقتل كل عاطفة في». فاشار اليها بيده، كان يعتقد ان بمقدوره ان يهدأ، لكنه يحتاج الى زمن. وكان هذا الزمن بعيداً عنه، غير أنه يجب ان يحصل عليه انها لم تكن تهذي. وهذا ما اوقف الدم في عروقه واخفض درجة حرارته. ولم تمض لحظات حتى كان هادئاً، رفعت عن عينيه ستارة التبلد، ولم يخطر له يوماً ان يكون بمثل هذا الهدوء هادىء، هادىء بصورة تامة. كالبحر دون امواج، كالسماء، كالسماء. «لماذا تتعاركين؟ تكلمي على سجيتك». وزفر زفرة باردة هي كل ما بقي من ازمته. كان يعلم انها لم تكن تتعارك معه، لكنها كانت تتصارع بضراوة مع نفسها. «لست اكرهك» أمالت راسها واغمضت عينيها برهة «لست اكرهك يا طارق. لقد بادلت هذا الشخص عاطفة لاعرف اني لا زلت انسانة حتى بعد زواجي». المجنونة. الطفلة المسكينة المجنونة. فكرتهـا اوضح من الشمس واشد سذاجة من بكاء الطفل. احس فجأة انها حطمت حياتها دون سبب. كانت تجربتها خطرة نزقة، ولا يزال يلومها انها ادخلت العالم كله معها في هذه التجربة، وادخلته اليها هو قبل كل الداخلين. قبل العالم كله. وضعته على حين غرة امام ازمة في حريته، ازمة اجتازتها هي بتعثر وتخاذل وخسة. وكان عليه ان يجتازها هو ايضاً وان يخرج منها محترماً لنفسه، وسحب نفساً عميقاً آخر من سجارته ثم تنهد. كان وحيداً وحيداً في عالمه. ومن كرسيه المريح اخذ يراقب الدخان المتصاعد من السجارة الى الاعلى، مثل الضباب، مثل روحه الحرة التي تعشق السماء. ولـكنها روح وحيدة، وهي لوحدتهـا حزينة كئيبة دائماً. وعندما رأى الدكتور حامد زوج ماجدة يدخل الغرفة بضوضاء مصطنعة، خيل اليه ان من الصعوبة ان يملك مخلوق مثل هذا روحاً تعشق السماء، وقام يصافحه «كيف انت؟» «شكراً، بخير. تفضل استرح». كان بديناً نازعاً سترته ومظهراً الشعر اللامع الاسود في صدره. شعر بتفاهة هذا الشخص وهو ينظر اليه يصافح مدعواً آخر.. ما غايته في الحياة؟ ولماذا لا يموت؟ وسمعه يتكلم «من هو؟ عبد الستار؟ لو يشتغل بائع حب لعاش احسن من عيشته الحاضرة. انه مجنون». وصدقوه جميعاً. كانوا ينصتون اليه كأنه يعلمهم الكلام. ومع ذلك، فلاجل

شخص ، لوح خشب ، من هذا النوع ارادت ان تكون انسانة تشعر بحريتها وشخصها . كم اشتهاها تلك الليالي التي اعقبت اعترافها ! ود لو يضع هذه المخلوقة الجميلة الثائرة الخائفة في قلبه. في صميم قلبه. ولكنها كانت بعيدة عنه ، بعدت خلال يوم واحد مسافة هائلة عنه . ومع شعوره وهو في مكتبه يسير ذهاباً واياباً بانها تجلس كالحجر في غرفة النوم ، فانه لم يكن يصدق مطلقاً أنه اذا فتح باباً قريباً منه فسيجدها امامه . يجدها بكل ما فيها ، بكل دنياها الغريبة الملونه . ولكنه مع ذلك لبث يتصورها امام عينيه ، ابقاها طوال الليالي الاربع تجاهه . مرة عارية ، جسدها الملتهب الراقد جنبه ، المستعد للغناء فيه ، ومرة واقفة في ثوبها الاخضر الداكن تعلن له«آه .. ولم يكن يطيق استرجاع هذه الصورة في ذهنه . كان يشعر آنـذاك ان عليه كرفيق ان يفهمها ، يفهمها كما لو لم يكن زوجها،يفهم حقارتها وذلها وضعفها وخستها، ولكنه يفهم ايضاً محاولتها ورغبتها الصادقة،من يدري، في ان تنال صفة لا تعلم هي نفسها ما كنهها . لعلها كانت تموت لو لم تفعل ما فعلت ، ولعلها ، من يدري مرة اخرى ، لم تكن بها حاجة لاي شيء من هذا النوع . ومع انشغال فكره الفظيع ، ما أمرها ساعات ، فلم ينس الملل الذي صار يضغط عليه تلك الايام ضغطاً مؤلماً . ملل من كل شيء ، من تقرير مصيره معها ، من الاهتمام بنفسه ، من تذكر كلماتها وحركاتها ، من الحياة نفسها ، الحياة نفسها . وبسبب هذا الملل فقط ، لا يزال يتذكر ذلك المساء الرهيب ، ولكن ، لم كان رهيباً ؟ لبس ثيابه حوالي الرابعة والنصف وخرج من المكتب فوجدها جالسة في (الهول) تقرأ كتاباً . كانت نظيفة جيبة ، فتملكته رهبة قاسية في تقبيلها، في احتضانها ، في البكاء معها . وتقدم نحوها فرفعت بصرها اليه العيون الزرق الشاحبة ، الزرقة الشاحبة الخائفة . لقد ضاعت من حياته . « اعتقد ان الندم شيء سخيف بالنسبة لنا » . فتحركت شفتاها الحمراوان حركة بسيطة . « ولعلي كنت افهمك جيداً لو لم .. لو لم اكن احبك ، ولهذا » سكت كأنه يود ان يطيل زمن وجوده معها « لا اظنني استطيع ان اعيش مع امرأة مثلك .. اشمئز منها » وخرج ولم يرها بعد ذلك . خرج الى المساء الرهيب الطويل الذي لا يريد ان ينقضي . بقي يسير في شوارع الموصل دون ان يدري لماذا، وكان يحس بالازدحام يخنقه ويعصر صدره السماء غير السماء ، والناس غير الناس، والشوارع غير الشوارع، والدنيا كلها غيرها هذا المساء . وكان في شارع نينوى المظلم وهو يشعر بنفسه حبيساً بين الناس، عندما راى سلسلة الجبال تترامى وراء الجسر .. الوانها باهتة ، لكنها تبدو كانها في الغيوم ، في عالم سحري جذاب ، فلفته شهوة عنيفة في الانعزال بين وديانها ومرتفعاتها، شهوة عنيفة كاد يصرخ ويبكي حين تملكها له.وعبر الجسر الحديدي واندفع الى ارض منفسحة ، لكن مياه النهر دوخت راسه، والافق البعيد ادخل اليأس الى فؤاده.لماذا يعيش دون سبب بين الناس ؟ بين الناس ، بين الناس دائماً ؟

وعاد تلك الليلة الى بغداد،في القطار الذي يسير ليلا ويصل بغيته في الصباح على زقزقة العصافير . ما أسخف هذا حقاً !«هه» وأحس على نفسه ، شعر بجسمه، وهو يقف امام الشباك والقاعة من خلفه ساكنة خالية. مع ضوضاء المدعوين في غرفة اخرى، فانكفأ الى الحديقة . كانت مظلمة ، مظلمة مثل حياته ، لا تبين للعين فيها غير اشباح اشجار تتحرك ، ومن يعلم فقد لا توجد هذه الاشجار ! واذا حدث ولم توجد ؟ « هذا العيش في الماضي سيقتلني اخيراً » ورجع قاصداً الغرفة الاخرى ذات الضوضاء . كان بعضهم يرقص على نغمات خافتة من الراديو وبعضهم يشرب من كؤوس لامعة ، ورأى ماجدة مشغولة بالاهتمام بمدعويها ، اما الدكتور فكان منتفخاً وسط لفيف من اصدقائه يحدثهم « يخطب دائماً ، هذا الدكتور التافه » وسمعه وهو يقترب منهم — « أنا ؟ انا لا ادعه يعمل حمالا عندي . انه انسان لا قيمة له» فانبرى له مستهزئاً — « لو يشتغل ببيع الحب لكان اشرف له .» فتطلع اليه الدكتور بنظارات تلتمع وسكن لحظات — «فعلا،بالفعل» فهز هو رأسه مبتسماً بهدوء وتراجع يفتش عن ماجدة . رآها تخرج من الغرفة فلحق بها . سألها ، وكانت ترتب المائدة ، عما يشغلها فضحكت — «بطونكم ، بطونكم » فضحك معها وتركها الى غرفة اخرى. حدث نفسه أنها قد تكون حقيقة تريد الانطلاق من اسر زوجها ، قيوده التي وضعها في يدها يوم عقد زواجه . وتذكر يوم زارهم بعد عودتهم من شهر العسل . احس منذ الساعة الاولى ان صديقته العزيزة فقدت نفسها فقداناً مريعاً . حدثته عن سفرتهم — « لم نستطع مفارقة سويسرا . سحرتنا جبالها وثلوجها واناسها.اردت الذهاب الى فرنسا لكننا لم نذهب» كان حديثها بصيغة الجمع كأنها صارت اثنين او كانها اضاعت الواحد الفرد الذي كانته. ثم تذكر زياراته الاخرى لهم ، زياراته المتصلة المتصلة ، لكنها كلها كانت تزيد خشيته في فقدانها. حتى اللحظات التي كان يشعر فيها انه ارجع اليها قليلا من نفسها ، كانت تسأله

منكسرة يوشك ان يحس انها معذبة ـ « ما الفائدة من محاولات الانسان معرفة نفسه كما تقول؟» ثم تجيب نفسها في ذهول بسيط ـ « لا فائدة البتة ، حياته تبقى كما هي ، عالمه يبقى هو هو » فكان يسكت ويخشع امام هذا الاستسلام المخيف ، هذا الضياع للشيء الوحيد الذي يملكه الانسان .

سمعهم ينادونه فخرج وذهب الى غرفة الأكل . كانت احاديثهم كلها عن امور تفصلهم عن نفوسهم ، وكانت كلمات الدكتور تنفذ اليه في وحدته بين آن وآن . « من هو ؟ سعدون ابو شوارب ؟ هذا الحيوان » . « انظري ماجدة ، هذا ليس ملائماً » . وكان يراه يراقب كل حركة منها ويخشى الا تعمل ما يراه ملائماً وما يراه غير ملائم ، ثم غاب عن عالمهم بعد ان ضجر ، وعاد بعد وقت فوجد نفسه منفرداً مع الدكتور بعد ان ذهب المدعوون عقب تناول الطعام . كانا يدخنان ، وكانت ماجدة قد صعدت الى غرفتها لتبديل ثيابها . لم يدر لماذا بقي ، ولماذا كان يبقى طويلا كلما جاء عندهم ، اهي رغبته في ان يراها ؟ ام رغبته في خلاصها الذي لا تفهمه ؟ ام رغبته في ان يتحسر اكثر ما يستطيع ؟ كان الدكتور يشرب من قدح بجوار مقعده . ثيابه غالية مترفة ، وبشرته بيضاء يكسوها شعر اسود نظيف ، وشحمه يترجرج إثر حركاته الطفيفة . كم هو تافه ! لله ، كم هو تافه ! « الهواء بارد قليلا » .

قالها الدكتور وقام الى الشباك فاغلقه ثم التفت اليه « هل جلبت لماجدة كتاباً ؟ » فاجابه بهزة رأس خفيفة فاستمر الدكتور . « حسناً ، هل تعلم اني لن ادعها تقرأه ؟ » وانعكس الضوء في نظارته فتلألأت « انه يفسدها . يدخل في ذهنها افكاراً لا احبها » « سخافة » واطفأ سجارته باصابع ترتجف . « نعم ؟ » فانهمر كالسيل وهو يشعر انه يدافع عن حياته .

« اقول لك انك سخيف ، انك مجنون . تريد ان تجعلها آلة بيدك ، عضواً من اعضاء جسمك . تريد ان تقتل كل نزعة عندها للاستقلال . لماذا تقف امامك انسانة مثل باقي الناس ؟ كلا لانك من ذلك تخشى على نفسك ، نفسك الجبانة الأنانية » .

كان مضطرباً دون ان يعلم السبب ، وقد شعر بصورة مبهمة كأن زوجته تراقبه ، فتمزقت اعصابه فجأة ، بينما لبث الدكتور هادئاً متعقلا . « ليست لدي هذه النزعة التي تتحدث عنها ، واعتقد ان زوجتي انسانة بدرجة كافية

واعتقد ايضاً ان محاولاتك المتكررة لجعلها تنفر مني ، انا زوجها ، ليست محاولات يمكن ان تسمى شريفة » . ثم نزع نظارته وبقي ممسكها بيده اليمنى . ومع انه كان مواجهاً للباب الذي وقفت فيه ماجدة تتصت خافقة القلب الى كلمات زوجها الاخيرة ، فانه لم يستطع في هياجها ان يراها .

واستمر وقد صعد الدم الى وجهه . أني الاحظك جيداً منذ زمن . انك مريض دون ان تعرف ذلك . مريض شاذ . تستطع ان تعيش مع زوجتك لانك تحب امرأة اخرى . ولهذا تريد ان تفرق بين كل زوجين يعيشان بسعادة » . بماذا يهرف هذا الدكتور المجبول وقف محتداً امامه « لا تتدخل بشؤوني الخاصة ، هل فهمت » ؟ فاتخذ الدكتور صفته الازلية ، صفة العالم « ان حباً شاذاً يسيطر عليك ، حباً شاذا . اذهب وفتش لنفسك عن محلل نفساني ، اترك هذه المحاولات لتخريب البيوت السعيدة الهانئة » .

وقطعت على الدكتور كلامه صرخة ثاقبة انبعثت من الباب فالتفتا . كانا محمري الوجه مشوشي الذهن ، ولم يفهما لماذا صرخت ماجدة وتقدمت نحوها ويدها على صدرها ووجهها اصفر شاحب . كانا يتصوران انهما يتفاهمان بهدوء واتزان فانتظرا منها لذلك ان تكون حكماً بينهما . انتظرا بصورة لا ارادية وباعصاب مزعزعة .

كان الليل بارداً رهيب الظلمة ، يشابه الى حد كبير ذلك المساء الاسود الذي قضاه في الموصل . وكانت السماء غير السماء ، نجومها لا تنير ولونها قاتم كئيب . والاشجار تقف بسكون كالاموات ، والدنيا كلها غيرها في هذا الليل الرهيب الطويل . اندفعت متلهفة الى احضان زوجها ـ «حامد ، حامد ، لا تدخلني انا ، اني لم ارتكب ذنباً» وخصلات شعرها السوداء تهتز باهتزاز جسمها الرشيق .

لم يبق له مكان في الدنيا « ان حباً شاذاً يسيطر عليك ، حباً شاذاً » الشارع المشجر خال خاو لامع الارض ، والاضوية ضعيفة صفراء . خيل اليه ان زوجته تسير جنبه وتشاركه عالمه الحزين ، لكنه خيال مر عليه لحظات ومضى . وبقي سائراً بخطوات متثاقلة بطيئة وجسمه منحن . لماذا يعيش دون سبب ، يعيش بين الناس ، بين الناس دائماً ؟

واختفى في ظلام الشارع .

بعقوبة ـ العراق — فؤاد التكرلي

قطرة ضوء

مهداة الى الشاعرة الملهمة الانسة نازك الملائكة

☆

يا جفني الساهد .. نم قد رقدت حتى الظلم
حتى حقول الحنطة المتشحات بالسقم
حتى مسارج الزيوت العالقات في الخيم
حتى عيون الافق المنطبقات في سأم
حتى مباخر الشذى حتى مراوح النسم
حتى أراجيح الظلال الراقصات بالقمم
لم يبق في الوجود كائن سوانا لم ينم
نحن الذين نقطر الضوء باجفان الرمم
يا كم تكحلنا بليل وتدثرنا بهم
وكم مشينا فوق شوك اليأس .. من نجم لنجم
وكم حرثنا حقلنا بفأسنا الاعمى الاصم
وكم حصدناه .. حصدنا ما زرعنا ... ثم لم !!
بلى جنينا ملء أيدينا جراحات ودم
كأننا لما زرعناه بذرناه ألم .. !

***

يا جفني الساهد نم قد رقدت حتى الظلم

القاهرة — محمد مفتاح الفيتوري

مذهب الباطنية الاسلامي

بقلم رنيه جينون ترجمة **شعبان بركات** ليسانسيه في الآداب

⁂

تمتاز العقيدة الاسلامية* بانها من بين جميع العقائد النقلية، تميز تمييزاً دقيقاً بين جزأين يتمم كل منها الآخر وهما: مذهب الباطنية « l'esoterisme » ومذهب الظاهرية « exoterisme ». او ما يعبر عنه في العربية بالشريعة اي « الطريق الكبير » الذي يشترك كل الناس في ولوجه، و« الحقيقة » اي « الحقيقة » الداخلية التي تختص بها فئة مختارة من الناس وليس اختصاصها هذا عن امر تعسفي بل هو نتيجة لطبيعة الاشياء. اذن جميع الناس ليسوا سواء في الاستعدادات والصفات التي تتطلبها معرفة هذه « الحقيقة ».

وكثيراً ما يشبه هذان المذهبان، للدلالة على ان احدها « خارجي » والاخر « داخلي » بـ« القشر » و« اللباب » او « بالدائرة » و« مركزها ».

فالشريعة هي كل ما تطلق عليه اللغات الغربية اسم « الدين » ولا سيما الجانب الاجتماعي التشريعي منه. ذلك الجانب الذي يكون في الاسلام جزءاً اصيلا من الدين. والشريعة بهذا « قاعدة للعمل » بينما الحقيقة « معرفة » صرفة. بيد انه يجب ان لا ننسى ان هذه الحقيقة هي التي تجعل للشريعة سموها وعمقها كما انها هي العلة الحقيقية لوجودها. ورغم ان جميع الذين ينتمون لهذه الشريعة لا يشعرون بذلك فانها تبدأ « بالحقيقة » كما ان مبدأ الدائرة مركزها.

وليس هذا كل ما في الامر. اذ يمكننا القول بان « الباطنية » لا تحتوي فقط على « الحقيقة » بل هي ايضاً تتضمن الوسائل المؤدية اليها. ويطلق على مجموع هذه الوسائل اسم « الطريقة » بمعنى « الطريق » او « الدرب » الذي يفضي بصاحبه الى « الحقيقة ».

فاذا ما عدنا الى الصورة الرمزية للدائرة كانت « الطريقة » ممثلة « بالوتر » الذي يبدأ من الدائرة ويسير نحو المركز فاذا بكل نقطة على الدائرة لها وتر خاص واذا بجميع الاوتار الغير المتناهية هذه تفضي ايضاً الى المركز. فلنا ان نقول اذن ان جميع هذه الاوتار طرق متعددة للمخلوقات الموجودة في نقط مختلفة على الدائرة حسب تعدد طبائعهم الفردية ولهذا قيل:

« الطرق الى الله كنفوس بني آدم »

وهكذا فان الطرق متعددة. وهي تختلف فيما بينها باختلاف نقطة بدئها على الدائرة. بيد ان الهدف واحد اذ ليس هناك سوى مركز واحد وحقيقة واحدة. حتى ان الاختلافات المبدأية تمحي مع « الانية » ذاتها حين يبلغ المتعرف اسمى حالات الوجود وتفنى صفات الابد المحدودة فلا تبقى سوى صفات الله.

يطلق على الباطنية في العربية – « طريقة » و« حقيقة » اي كوسيلة وغاية – لفظ عام هو « التصوف » الذي لا يمكننا ترجمته الى الفرنسية الا بلفظ « initiation ».

ولقد اعتمد الغربيون لفظ « çufisme » للدلالة فقط على مذهب الباطنية الاسلامي بينما لفظ « التصوف » « taçawwuf » يمكن اطلاقه على كل عقيدة باطنية. غير ان هذه الكلمة – وان كانت تسمية اتفق عليها – لها مضارها. اذ ان نهايتها تشير على التأكيد الى عقيدة خاصة بمدرسة معينة. بينما ليس هناك شيء من هذا في الواقع اذ ان جميع المدارس ليست سوى طرق اي وسائل متعددة ليس بينها اختلاف في العقيدة لان « التوحيد واحد » اما اشتقاق هذه الاسماء فهو من كلمة « صوفي » ولنا بصدد هذه الكلمة الملاحظة التالية: ليس لاحد ان يطلق على نفسه اسم « صوفي » ان لم يكن ذلك عن جهل اذ انه بذلك يبرهن عن انه ليس حقاً بالصوفي لان صفة « الصوفي » سر بين « الصوفي الحقيقي » و« الله ».

غير انه يمكننا ان نطلق على انفسنا لفظ « متصوف » وهو لفظ يمكن اطلاقه على اي شخص دخل في « الطريق » مهما كانت المرتبة التي وصل اليها.

(١) نشر هذا البحث في مجلة: Les Cahiers du Sud في عددها الخاص عن: الاسلام والغرب سنة ١٩٤٧ L'Esoterisme Islamique

اما « الصوفي » بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة فهو من وصل الى المرتبة العليا .

ولقد قام من يجعل لكلمة « صوفي » مصادر مختلفة ، بيد ان هذه المشكلة – على الشكل الذي اعتدنا ان تنظر اليها به – لا يمكن حلها : ونحن ندعي ان لهذه الكلمة مصادر متعددة لايمكن المفاضلة بينها واختيار احدها في الحقيقة ، بل هي بالاحرى لتسمية رمزية صرفة ، او رقم ليس بحاجة لاشتقاق لغوي . وليست هذه الحالة فريدة في نوعها بل لها مثيلاتها في عقائد اخرى . اما المصادر اللغوية فهي ليست سوى مشابهات صوتية تعبر عن صلات قائمة بين افكار متعددة تجمعت حول الكلمة بيد ان للغة العربية صفة خاصة تشترك فيها مع اللغة العبرية .

ولهذا فان المعنى الاول الاساسي لهذه الكلمة يجب ان يكون « بالارقام » . ومن الطريف انا اذا جمعنا القيم العددية للاحرف التي تتألف منها كلمة « صوفي » كان لهذه الكلمة نفس عدد « الحكيم الالهي » .

فالصوفي الحقيقي هو من تملك هذه الحكمة اوهو « العارف بالله » اذ ان الله لا يعرف « الا بذاته » وهذه هي المرتبة السامية الكلية في معرفة « الحقيقة » .

نستنتج مما سبق ان مذهب الصوفية « soufisme » ليس مذهباً طارئاً على العقيدة الاسلامية بل هو جزء اساسي منها . اذ بدون هذا المذهب يبدو النقص فيها من المصدر اي من مبدئها ذاته . اما القول بمصدر اجنبي يونانياً كان ام هندياً ام فارسياً فان هذا يتعارض مع الواقع . اذ ان وسائل التعبير عند الباطنية الاسلامية تتصل صلة وثيقة بتركيب اللغة العربية . وهناك ولا شك وجه شبه بينها وبين العقائد الاخرى .

ويمكننا تفسير اوجه الشبه هذه دون ان نلجأ الى «الاستعارات» الافتراقية وذلك ان الحقيقة واحدة وبهذا فان جميع العقائد متشابهة في جوهرها مهما تعددت الاشكال التي ترتديها .

وليس هناك من اهمية فيما اذا كانت كلة « صوفي » ومشتقاتها « تصوف » و « متصوف » قد وجدت في اللغة منذ البدء ام انها ظهرت في عصر متأخر ، وهو موضوع نقاش بين المؤرخين .

فالشيء يمكن ان يوجد قبل وجود « الكلمة » الدالة عليه ، وذلك بان يوجد تحت اسم آخر او بدون اسم .

وعلى كل حال فان الحديث يشير الى ان كلا من مذهب الباطنية ومذهب الظاهرية ينتميان رأساً لتعاليم النبي ، وفي الواقع فان لكل طريقة حقيقية صحيحة سلسلة تنتهي بالنبي ، حتى ولو ان بعض « الطرق » « استعارت » حقاً فيما بعد او «احتضنت» بعض التفاصيل في وسائلها الخاصة فليس لذلك سوى اهمية ثانوية ليست بالاساسية رغم اننا يمكننا تفسير وجود الشبه هنا بانها جميعاً تمتلك نفس المعارف لا سيما فيما يختص « بعلوم النغم » في فروعها المتعددة .

والحقيقة ان مذهب « الصوفية » عربي كما ان القرآن عربي .

وهو يشتق مبادئه منه . بيد انه يجب ان يفهم القرآن ويفسر حسب « الحقائق » التي تعبر عن اعمق معانيه لاستخراج هذه المبادىء ، وليس فقط باعتماد الاساليب اللغوية او المنطقية او اللاهوتية التي يسير عليها علماء الظاهر او المشرعون الذين لا يمكنهم الوصول الا الى الجانب الظاهري منه .

نحن هنا اذن امام جانبين مختلفين . ولهذا لا يمكن ان يقوم بينهما تضاد او نزاع حقيقي اذ لا يمكن على اي شكل معارضة الظاهرية بالباطنية لان هذه تعتمد وترتكز على الاولى وهما في الحقيقة ليسا سوى مظهرين لعقيدة واحدة .

ومن جهة اخرى فان هناك رأياً شاع في الوقت الحاضر بين الغربيين ، اذ ليس هناك من صلة بين « الباطنية الاسلامية » و « التصوف الغربي » « Le mysticisme » . واسباب ذلك يسهل فهمها مما تقدم لان «التصوف الغربي» في الواقع خاص بالمسيحية. وليس لنا ان نبحث عن اوجه شبه خاطفة لا نجد له مثيلا . ولا شك ان التشابه الخارجي في استعمال بعض التعابير هو السبب في ذلك غير انه يجب ان لا يسمح بذلك نظراً لوجود اختلافات اساسية بينهما

« فالتصوف الغربي » يتعلق بما هو ديني فهو بهذا ينتمي الى « الظاهرية » ولا يهدف الى المعرفة الصرفة . والمتصوف الغربي يقف موقفاً سلبياً فهو يتلقى فقط ما يأتيه تلقائياً دونما اية بادرة منه فهو بهذا ليس صاحب طريقة . ليس هناك اذن « طريقة صوفية غربية » ولا يمكن تقرر وجود مثل هذه الطريقة لانها متناقضة في اساسها . والمتصوف الغربي وحيد وذلك لموقفه السلبي فهو لا ينتمي الى «شيخ» ولا الى «سلسلة» تنتقل اليه عن طريقها «البركة» ذلك ان انتقال «البركة» ملازم لوجود « الشيخ » فانتقال البركة المنظم من المميزات الاساسية للدخول في الطريقة . ولهذا استعملنا هذه الكلمة – Initiation – للتعبير عن « التصوف » . فالباطنية الاسلامية ككل مذهب باطني هي دخول في طريقة ولا يمكن ان تكون شيئاً آخر ، حتى انه ليمكننا القول – دون التعرض لمشكلة اختلاف الاهداف الناتج عن اختلاف المصادر – ان « الطريق الصوفي الغربي »

و « الطريق القومي الاسلامي » لا يمكن التوفيق بينهما نظراً لصفة كل منهما . يضاف الى ذلك انه ليس في اللغة العربية حكمة تترجم حكمة « Mysticisme » في الفرنسية . لان الفكرة التي تعبر عنها هذه الكلمة غريبة على التقاليد الاسلامية .

فالعقيدة الباطنية ميتافيزيقية في جوهرها بالمعنى الحقيقي الاصيل لهذه الكلمة . بيد انها في الاسلام ـ كما هي في غيره من العقائد ـ تتطلب مجموعة معقدة من « العلوم التقليدية » وهذه العلوم تقوم على المبادىء الميتافيزيقية وتشتق منها قيمتها وتكون جزءاً العقائد ذاتها وليست شيئاً مضافاً اليها بشكل متكلف لا طائل تحته .

نحن اذن بصدد شيء يصعب فهمه على الغربيين ، لانه ليس لديهم وجه للشبه بهذا الصدد . ومع ذلك فلقد كان في الغرب علوم مشابهة في الازمنة القديمة وفي العصور المتوسطة غير ان هذه العلوم قد نسيها المعاصرون وجهلوا طبيعتها فلم يشعروا بوجودها لا سيما اولئك الذين يخلطون بين الباطنية والتصوف الغربي . فهم لا يعرفون مدى ما يمكن ان تقوم به هذه العلوم التي تبتعد معارفها اكثر ما تبتعد عن التصوف الغربي فاذا بهم يرون اندماجها بالصوفية سراً غامضاً تلك هي علوم الارقام والحروف التي اشرنا الى مثال منها سابقاً في تفسير كلمة «صوفي» والتي لا شبيه لها الا في « القباله » العبرية وذلك للصلات الوثيقة بين اللغات المستعملة في التعبير عن هاتين العقيدتين هذا العلم وحده هو الذي يستطيع ان يعطينا المعنى العميق لهذه اللغات . وكذلك شأن مختلف العلوم الفلكية التي تدخل جزئياً في « الهرمسة » « Hermetisme » ويجب ان نلاحظ هنا ان الكيمياء القديمة « L'alchimie » ليس لها معنى مادي الا في اذهان الجهلة الذين لا يرون اي معنى للرمز . اولئك الذين كان علماء الكيمياء الحقيقيون ينعتونهم في العصر الوسيط الغربي باسماء « الدجالين » او باسماء « مشعلي الفحم » وهم رواد الكيمياء الحديثة الحقيقيون . وكذلك فان « علم النجوم » وهو احد فروع علم الفلك يختلف في الواقع عن « فن التنبؤ » او « علم الغيب » في نظر المحدثين ، فان هذا العلم يهدف الى معرفة القوانين الدورية « Cyclique » التي تقوم بدور هام في كل العقائد النقلية . وهناك صلة بين جميع هذه العلوم التي تمثل شيئاً واحداً وذلك لانها تصدر في الاساس عن نفس المبادىء .

وهكذا فان علم النجوم وعلم الكيمياء وعلم الاحرف لا تعبر الا عن نفس الحقائق في اللغات بمختلف ضروب الواقع يجمع بينها قانون التماثل وهو اساس كل اتصال رمزي . ولهذا فان هذه العلوم تطبق في « العالم الاصغر » كما تطبق في « العالم الاكبر » . لان العملية الباطنية ترسم العملية الفلكية . وعلى من يريد ادراك كل هذه الصلات المتبادلة ان يصل الى درجة عالية في مراتب الباطنية . ويطلق على هذه الدرجة اسم « الكبريت الاحمر »

ويستطيع من وصل الى هذه المرتبة ان يؤثر بواسطة علم « السيمياء » في الكائنات والاشياء التي تتصل بهذه الكائنات في المجال الفلكي .

وما الخبر الذي يرجع الى سيدنا علي نفسه سوى تطبيق لهذه العلوم في تنبؤ الحوادث المقبلة .

ويكون لهذا التطبيق ـ الذي تدخل ضمنه «القوانين الدورية» المشار اليها آنفاً ـ في نظر من يفهمه ويفسره دقة العلم الصحيح الرياضي

ويمكننا ان نعدد اسماء علوم نقلية ربما بدأ بعضها غريباً في نظر من لا عهد لهم بمثل هذه الاشياء . بيد انه يجب ان نظل ضمن نطاق موضوعنا فلا نتعداه . واخيراً لنا ملاحظة اخيرة لها اهميتها الرئيسية في فهم ميزة العقيدة الباطنية الحقيقية . وذلك ان هذه العقيدة لا تقوم على « جمع المعلومات » ولا يمكن تعلمها من الكتب كما نفعل للحصول على المعرفة العادية الدنيوية . وليست كتابات اكبر المعلمين سوى دافع على التأمل . ولا يمكن ان نصبح متصوفين بعد قراءتها فقط وتبقى هذه الكتب غير مفهومة في نظر غير المختصين . لذلك يجب قبل كل شيء ان يكون القارىء ذا استعداد فطري والا لم ينفع معه اي جهد . كما يجب الانتساب لسلسلة منتظمة لان انتقال البركة هو الشرط الاساسي وبدونها لا يكون اي دخيل في الطريق .

ولو كان ذلك لبلوغ اولى الرتب . ومتى تم الحصول على هذه البركة ابتدأ العمل الداخلي الذي لا يمكن ان تكون الوسائل الخارجية سوى معين ومتكأ ، وهي ضرورية بالنسبة الى طبيعة الانسان كما هو في الواقع . بهذا العمل الداخلي فقط يرتفع الكائن من مرتبة الى مرتبة اعلى منها اذا كان كفؤاً لذلك . حتى يصل الى اعلى المراتب الباطنية فيصل الى «التماثل الاسمى» « l'Identité sprême » وهي حالة دائمة غير شرطية لا تخضع لاي تحديد يفرضه عليها اي وجود حادث عابر . هي حالة الصوفي الحق .

باريس　　　　شعبان بركات

كأس الظلام

•

لفؤاد الخشن
من أسرة الجبل الملهم

•

انمضي ونهجر هذي الربوعْ
وتُذرفُ حزنا علينا الدموع
ونغدو خيالْ
ببال الزوال
هناك...هناك... وراء الغمامْ
بارض الظلام
ودنيا السكون العميق العميق!
بوادٍ سحيقْ
غريبِ الطيوف
يرفّ عليه جناح المنون...
بلحن حزين!
ايُلوي علينا ملاك الفناءْ
بزرقة نابْ
فنغدو تراب
وصفرةَ طين على جمجمهْ
لهمس الرياح بها دمدمه
وللهينمات صدى هينمه
وفي محجريها يمدّ الشقيقْ
جذوراً تغلغلُ سودَ العروق
تمصّ الضياءْ
ولون الرجاء
وترشف حمرة وجد الضلوعْ!
وهذي القدودْ ؟! ...
اتمسي عظاماً يحيك الزمنْ
عليها رطوبة صمتِ العفن
وللعنكبوت
عليها بيوت
تحاك بخيط دقيق يموت!!
سنمضي، سنمضي بعيداً، بعيد
نروح ونعبر هذا الوجود
نمرّ كطيف بدا في الكرى
ووهم سرى!
وراح وزالْ...
تعالَ اليّ رسول السكونْ
تعال تعال ايا منقذي
بدفء لهاث دمائي اغتذِ
تعال فكونيَ ادري مصيري
يحزّ بقلبي ويدمي شعوري
وفي كل يوم اذوق المماتْ
مراراً...فهات
رحيق الظلامْ
ودعني انام
فاني انوء بطيني الكثيف!
ستأتي عليّ
وتخمد فيّ
لهيب الحياة
فاضحي رفات
وزاداً يلذّ لدودٍ حقود
بجوع كنود
يشكّ المراشف عبر العيون
ظميئاً يعبّ بقايا الالم
ويحسو بصمتٍ دموع الندم!
ولكن هناك سيبقى نشيدي
يمدّ وجودي
ويروي خلودي
ويبقى يرنم فوق البقاء!!

سمعت طرقاً خفيفاً على باب مكتبي، كان متناهياً في الرقة، ففطنت الى ان صاحبه يحاول أن يوحي الي انه رجل مهذب لا يحب اقلاق الناس، وان حزرت انه صاحب حاجة جاء الى الديوان يلتمس منفذاً لحاجته، فقلت: ـ تفضل

فدلف الى الحجرة إنسان قمي، ترف على فمه ابتسامة، وما إن وقعت عيناه علي حتى حنى رأسه في ادب، وقال:

ـ حضرتك مصطفى بك؟ ـ نعم. اية خدمة؟

ـ لي موضوع هنا احب ان أعرضه على سعادتك.

فاشرت الى كرسي قريب مني وقلت: ـ تفضل.

وقعد وسحب الكرسي واقترب مني وقال:

ـ تقدمت في مناقصة لتوريد زيوت للوزارة، ورسا علي العطاء، وحدد يوم ١٠ مايو لانتهاء التوريد، ومضى ذلك التاريخ ولم استطع تنفيذ العقد، كان التأخير لامر خارج عن ارادتي، اشتريت من تجار كثيرين ولم اتسلم الزيوت في الميعاد الذي اتفقنا على ان اتسلمها فيه، ولقد قرروا هنا الشراء من السوق على حسابي وتحميلي فرق الاسعار، ولو تم ذلك كان فيه خرابي.

ـ وماذا تريد مني ان افعل؟

ـ ان تمد اجل التوريد.

ـ هذا ليس من شأني، هذا من اختصاص وكيل الوزارة.

ـ قيل لي انك تستطيع ان تقنع الوزارة بمد اجل التوريد. ارجوك ان تفعل شيئاً، اشتريت بكل اموالي زيوتاً، سأتسلمها قريباً، فاذا لم اوفق في مد اجل التوريد، فساصاب بكارثة.

ـ ساهتم بهذا الموضوع.

ـ أرجوك.. مستقبلي بين يديك.. لن انسى هذه المكرمة ما حييت.

وصافحني الرجل وهو يشد على يدي، وخرج وهو ينحني في ادب، وجلست اكتب مذكرة للوزارة اطلب فيها امتداد أجل التوريد، وذهبت الى الوزارة، وقابلت هذا وذاك، وتمكنت بعد مجهود ان احصل على الموافقة المنشودة، واخطرت الرجل فجاء الي يسعى يزجي الي عبارات الشكر والتقدير.

ومرت ايام ووفد الى مكتبي ذلك الرجل القمي، يبتسم في رقة، وينحني في احترام، فلما وقعت عيناي عليه قلت: ـ خيراً؟

ـ اتممت التوريد، ولم اصرف بعد ثمن ما وردت.

فاستفسرت عن سبب تأخير الصرف، فعلمت ان هناك بعض الاجراءات لم تستوف بعد، فوعدت الرجل خيراً، وانصرف من عندي وهو يكرر الشكر، ويدغدغ اذني بعبارات الثناء.

وما انقضى على انصرافه يومان حتى تسلمت رسالة سرية من الوزارة، ففضضتها فاذا بها شكوى من ذلك الرجل القمي، يتهمني فيها صراحة انني اتعمد تأخير صرف قيمة الزيوت التي اتم توريدها، فانتشر الضيق في صدري واحسست دماء حارة تتدفق في عروقي، وشردت قليلا فتذكرت قصة الحذاء، فحمدت ثورتي، وارتسمت على شفتي ابتسامة زراية، كانت تلك القصة البلسم الشافي لنفسي، كلما اساء الي من احسنت اليه.

قصة الحذاء

بقلم عبد الحميد جوده السحار

كنت رئيساً لفريق كرة القدم بالمدرسة الابتدائية، وفي يوم من ايام الخميس جاءني ثلاثة اقارب من زملائي في المدرسة وقالوا لي:

سنتبارى اليوم مع فريق من فرق الحي، ونحب ان تلعب معنا، انها مباراة هامة اذا فزنا فيها انعقدت لنا بطولة الحي.

فاعتذرت باني ارسلت حذاء الكرة للاصلاح، ولن يتم اصلاحه قبل يوم الجمعة، فقال احدهم: ـ عندنا اكثر من حذاء.

وقال آخر: ـ عندنا لك حذاء جديد يليق بك.

وعرضوا علي ان اذهب معهم، فانطلقنا الى دارهم وهم يتملقونني ويتحدثون عن براعتي في اللعب، وانا مطرق حياء، حتى اذا بلغنا البيت دلفنا الى غرفة بها ارائك عتيقة، وبعض احذية الكرة، وملابس مبعثرة، اجلسوني في الصدر، وغاب احدهم وعاد يقدم الي كوب شراب الليمون، فشربته وقد شاعت في نفسي احساسات الرضا، وقدموا الي حذاء جديداً، فخلعت حذائي، وهممت بلبس حذاء الكرة فامتدت اكثر من يد تعاونني على لبسه، واخذت اذرع الغرفة جيئة وذهوباً، وانا انظر الى الحذاء، واضرب به الارض، فقال احدهم: ـ رائع.



من وحي بيروت

☆

وللحب، أمس ابيض الرحب مونق رخي، عبيق الطرف، ريان معلم
لنفسي اليه ، من بعيد ، تلفت كما هم ، لولا كبوة النطق ، ابكم
وليل ، انيس الضفتين ، مرنق طروب الحواشي ، ثغره متبسم
أعال علينا الغصن اطراف ثوبه يقينا الندى ، من جوه حين يسجم
ونحن ، على ميع من النبت والشذا نضيان ، الا من شفائف ، توأم
سليسان للنجوى، حفيان بالصبى خليان، ما نخشى به غد الامر مبهم
وابعد شيء بيننا ، كان قبلة وما غيرها ، والله بالسر أعلم

طرطوس - سوريا

نديم محمد

فذهبت الى الاريكة وجلست ورفعت رجلي لأخلع الحذاء ، فاذا باصوات تقول في استنكار :

- ماذا تفعل ؟ - اخلعه .

- لا .. لن تخلعه . - لماذا ؟

- سيبقى في قدميك حتى تذهب به الى الملعب .

فقلت في انكار : - أأسير في الطريق وفي قدمي حذاء الكرة؟

- كلنا نفعل ذلك .

ولفوا حذائي في ورقة ووضعوه تحت ابطي .

واستأذنت في الانصراف ، فعرضوا علي ان اتغدى معهم ، والحفوا في العرض ، فاعتذرت بانني لم اخبر اهلي ، وهبطت الى الطريق ، والثلاثة حولي حتى اذا بلغت رأس الشارع ودعوني في حرارة ، فانطلقت وانا نشوان ، هزتني تلك المعاملة الطيبة ، ومست شغاف قلبي .

وذهبت الى الملعب ، وما إن لمحوني قادماً حتى خفوا الي مرحبين ، واحاطوني بعطفهم حتى غرقت في السعادة.

وبدأت المباراة ، فعقدت العزم على ان ابذل غاية ما في وسعي من مجهود ، فهذا اقل ما اقابل به ذلك الكرم .

ووفقني الله فسجلت لهم اصابة ، ثم اردفتها باخرى ، وانتهت المباراة وقد فازوا بهاتين الاصابتين . وتفرقت الجموع ، واقبل الثلاثة الي يهرولون ، فحسبتهم قد خفوا إلي يزجون آي الشكر وعبارات الاطراء ، فرقص قلبي في جوفي ، وان تدفقت الى وجهي دماء الخجل ،

قال احدهم وهو ملهوف : - الحذاء ؟

فقلت في بلاهة - ماذا ؟

- نريد الحذاء .. اخلع الحذاء .

فقلت في انكار : - الآن ؟! - نعم الآن .

- ليس معي حذاء آخر ، ولا استطيع ان اسير حافياً .

- هذا ليس من شأننا ، نريد الحذاء .

- تعالوا معي الى بيتنا .

- لا .. اننا نريد الحذاء

وجلست على الارض مقهوراً ، وقبل ان تمتد يدي الى رباط الحذاء ، امتدت اكثر من يد ، وما هي الا لحظات حتى كنت في الارض الفضاء وحدي ، عاري القدمين الا من الجورب.

هذه هي قصة الحذاء التي اتذكرها كلما وقعت على اساءة ممن احسنت اليه ، فتجلب الى شفتي بسمة ازدراء ، وتنزل بصدري تلك الراحة التي يحسها من فقد ايمانه بالناس .

القاهرة

عبد الحميد جوده السحار

الشاعرة العراقية نازك الملائكة

بقلم عيسى الناعوري

تحتل نازك الملائكة* مكانها في الرعيل الاول من شعراء وشاعرات الجيل الجديد في عاصمة فيصل . وهي شاعرة منتجة ، عرفتها الصحف ومحافل الادب بحرارة شعرها العاطفي الغني بالخيال والصور الشعرية المترقرقة .

وقد نشأت نازك في بيت عامر بالادب والشعر ، فابوها صادق الملائكة شاعر واديب له مكانته بين ادباء العراق، ووالدتها المعروفة في محافل الادب باسم « ام نزار الملائكة » شاعرة من الشواعر المبرزات في العراق ، ولاخيها نزار واختها احسان مشاركة في الادب والشعر . وقد نال الجميع حظاً عالياً من الثقافة، واتقنوا عدداً من اللغات الاجنبية ، واطلعوا على الآداب العالمية بلغاتها الاصلية . ومن هنا تهيأ لنازك جو ادبي خالص تكونت فيه شاعريتها وذوقها الادبي والفني .

وعلى الرغم من انها نشأت في بيئة شرقية محافظة ، الا انها في حياتها البيتية قد لقيت رعاية طيبة ونالت حرية واسعة، واتيح لها ان تمضي في الدراسة الى اقصى حد تستطيعه ، فقد انهت دراستها الجامعية في دار المعلمين العالية في بغداد، ونالت شهادتها. وقد كانت اخيراً تواصل دراساتها العالية في احدى جامعات الولايات المتحدة .

ولنازك ديوانان مطبوعان ، الاول « عاشقة الليل » وقد طبع سنة ١٩٤٧ ، وكتبت مقدمته اختها احسان، والثاني « شظايا ورماد » وقد صدر في عام ١٩٤٩ ، وفيه مقدمة تحليلية بقلم الشاعرة نفسها . وعلى الرغم من تقارب المدى بين ظهور الديوانين ، فانها يمثلان مرحلتين مختلفتين من مراحل التطور في حياة نازك الشعرية . فالاول يمثل دور العاطفة وحدها بينما يمثل الثاني دور « الوعي » او دور « العقل » بتعبير ادق. وبين هذين الطورين اختلافات جوهرية واضحة كل الوضوح في شعر الديوانين .

* حديث اذيع من محطة لندن

اما في الديوان الاول فقد كانت نازك شاعرة موفقة ، اذ كانت العاطفة والطبع وحدها يسيران شاعريتها ، ويمدانها بالفورة والحنان والحيوية والصور الملونة الحية، وكان في عبارة شعرها كل ما يميز الشعر العربي الجميل من موسيقى وتجانس والشعر العربي – في رأيي – اغنى من الشعر الغربي بهاتين الصفتين بشكل خاص ، وهو اذا فقد تجانسه الموسيقي اضاع اهم عناصر جماله وتأثيره في النفس .

لهذا كله نقول ان نازك الملائكة في ديوانها الاول موفقة كل التوفيق في موهبتها الشعرية ، اما في الديوان الثاني فقد اختلفت الحال ، لان الشاعرة لم تعد تعتمد على الموهبة والحس والعاطفة ، بل جعلت تستند في قسم غير قليل من قصائدها الى الثقافة الواعية المركزة . لقد حكمت ثقافتها في شعرها وارادت ان تجري عليه نوعاً من الاختبار الفكري ، يتصرف به الوعي المثقف ، محاولة ان تجري به على غرار حبكة الشعر الغربي ، ولكنه جاء شيئاً يشبه النثر بتفعيلاته غير المتجانسة وغير المنضبطة في نظام موسيقي . ونشير ههنا الى قصائدها : نهاية السلم ، الافعوان ، الكوليرا ، لنكن اصدقاء ، في جبال الشمال ، اغنية الهاوية ، خرافات ، وغيرها .

على ان الحقيقة ان الشاعرة قد وقفت في المقدمة التحليلية الطويلة التي صدرت بها هذا الديوان اكثر من توفيقها في تطبيق شعرها على هذه الاصول الادبية التوجيهية التي رسمتها في الصفحات [من ٨ الى ١٢] من المقدمة ، بشكل خاص . والمقدمة هي التي تحدد اهداف الشعر ومنازعه وطرائقه التي تحاول نازك ان ترسمها لنفسها وللشعر العربي الجديد ، وإن يكن التطبيق قد انزلق عن هذه المسالك المرسومة كما تنزلق عجلات القطار عن خط الحديد.

بعد هذا كله نعود الى شعر نازك نتلمس ما فيه من معان وخصائص ، فنجد ان الحصة الكبرى من شعرها قد وقفتها على عواطفها وانطباعاتها الشخصية ، التي نستطيع ان نجمعها تحت

عنوان واحد هو «الحرمان». وفي القصائد العديدة التي عبرت بها الشاعرة عن قسوة الحرمان هذه، نلمس عاطفة شديدة الحرارة، ولهفة شديدة العمق، ونطالع صوراً تقطر بالدم وتندلع باللهب.

وهذه الحرارة العاطفية في شعر نازك قد تتحول الى فورة كلها عنفوان وتمرد وكبرياء ونقمة. والفورة هي الميزة التي تميز حياة الشباب عادة، كما ان هناك ناحية اخرى قد ترافق مرحلة الشباب وهي الحيرة. وقد عبرت نازك عن حيرة الشباب هذه في قصيدتها «صراع» احسن تعبير، فهي تحب وتكره، وتضحك وتبكي، وتريد وتنفر، ولكنها لا تدري ماذا ولماذا، فهي تقول:

احب واكره، ماذا احب واكره؟ أي شعور عجيب؟
وابكي واضحك، ماذا ترى يثير بكائي وضحكي الغريب؟
اريد وانفر أي جنون حياتي؟ واي صراع رهيب؟
لماذا اعيش؟ لماذا اغني ومن ذا اصارعه؟ لا مجيب!

والحيرة تولد الالم والتشاؤم، وهذان ابرز ما يصطبغ به شعر نازك في ديوانيها معاً، لا فرق في ذلك بين ما يدخل منه في نطاق عاطفتها الفردية الخاصة، وما يمس الحياة العامة. فهناك قصائد تعالج بعض مشاكل الحياة والنفس البشرية، ولكنها تكفنت بالتشاؤم الموجع، فضاع ما كان يمكن ان تؤديه من رسالة الجمال والحب والخير. ونذكر من هذه القصائد: خرافات، جامعة الظلال، اغنية الهاوية، وغيرها.

***

قلت ان الحصة الكبرى من شعر نازك تتعلق بمشاعرها الفردية وتعبر عن مشاكل قلبها وعاطفتها الخاصة. على ان هذا لا يمنع من القول إن هناك زاوية من نفسها كانت تنفتح للشعور مع الآخرين ولتصوير ما في المجتمع من شرور وآلام. في الديوان الاول نجد خمس قصائد من هذا النوع، هي: مرثية غريق، سياط واصداء المقبرة الغريقة، خواطر مسائية، عيد الانسانية. وفي ديوانها الثاني ثلاث قصائد هي: الكوليرا، لنكن اصدقاء، يوتوبيا في الجبال. على ان الذي لمسناه في هذه القصائد كلها ان العاطفة فيها «دافئة» فقط، وكان يعوزها شيء من الاضطرام لكي تجد تأثيرها القوي في النفوس.

وشيء آخر نلاحظه في القصائد الثلاث التي من ديوان شظايا ورماد، وهو ان المعاني التي تدور عليها كلها حنان ورحمة على ابناء الحياة، ولكننا لا نظلم الشاعرة اذا قلنا ان طريقة النظم فيها لم تعرف الرحمة بآذان القراء، واذواقهم الشعرية، فقد ألف القراء في الشعر العربي ايقاعاً موسيقياً متجانساً، فوجدوا هنا نظماً غريباً مقلقلا يصدم الاذن بشكل عنيف. والحقيقة ان القارئ يسير مع الشاعرة في هذه القصائد وامثالها، لاهثاً من التعب، فهناك بيت طويل وآخر قد لا يزيد على لفظة واحدة، لان «التفاعيل» قد وزعت على الابيات بدون نظام، فغدت مدعاة للملل والتعب والارتخاء النفسي. ونكتفي الآن بايراد نموذج قصير من هذا الشعر الذي نعنيه، وهو من قصيدة «فلنكن اصدقاء»

لنكن اصدقاء
ان صوتا وراء الدماء
في عروق الذين تساقوا كؤوس العداء
في عروق الذين يظلون كالثملين
يطعنون الاخاء
يطعنون اعزاءهم باسمين
في عروق المحبين والهاربين
من احبائهم، من نداء الحنين
في جميع العروق
ان صوتا وراء جميع العروق
هامسا في قرارة كل فؤاد خفوق
يجمع الاخوة النافرين
ويشد قلوب الشقيين والضاحكين
ذلك الصوت صوت الاخاء
فلنكن اصدقاء

والذي يطالع شعر نازك المتألم يلمس هناك شيئاً من اثر ابي القاسم الشابي، وعبارته الشعرية الجميلة، وقوة تصوره. ويظهر هذا الاثر على الاخص في قصيدة «بين فكي الموت» التي نظمتها نازك في حالة المرض، مما جعل هناك جامعاً بين حالتها الشعورية والحالة الشعورية التي كان الشابي ينظم فيها قصائده الباكية. وفي القصيدة تقول الشاعرة:

ايها الموت، وقفة قبل ان تغري بجسمي سكونك الابديا
آه، دعني املأ عيوني من الانوار، وارحم فؤادي الشاعريا
آه، دعني اودع العود، يا موت، فقد كان لي الصديق الوفيا
وأرنم لحن الوداع لدنياي، لامضي للموت قلبا شقيا

ونجوى الموت وتمنيه من الاشياء الكثيرة الشيوع في شعر نازك، وهي شيء، تتمنى لو خلا منه الشعر عامة، اذا كنا نريد من الشعر أن يقود الحياة الى السمو والقوة والفرح، وبالتالي الى السعادة، وهذه هي رسالته. ونازك شاعرة قوية في روحها،

التحليل النفسي بين الامس واليوم

بقلم سمير بولس التنداوى

ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الأول

☆

كنت ذات يوم سائراً بصحبة استاذي الدكتور ابو مدين الشافعي فاستوقفته احدي السيدات ، وقصت عليه قصتها، ثم سألته ان يعلل داءها ويصف لها دواءها في الحال. فلما اجابها باستحالة ذلك ، واخبرها انه يجب عليها ان تزوره في عيادته حتى يتسنى له فحصها بصورة ادق، نظرت اليه مستنكرة وقالت :

ـ كيف لا تستطيع ذلك ، الست تشتغل بعلم النفس ؟!

فقال لها ـ صحيح انني مغربي (١) ولكنني للاسف لست ساحراً.

ولقد ذكر لنا استاذنا الدكتور يوسف مراد في محاضرته عن صلة علم النفس بالصناعة (٢) ، ان رجال الصناعة في مصر يفترضون في العالم النفسي ان يكون ساحراً ؛ بمعنى ان ينظر الى المصنع نظرة واحدة ، ثم يبدأ في العمل . وفي ظرف اسبوع على الاكثر يجب ان يرتفع الانتاج الى الضعف فيكثر العمل . ويزداد رأس المال ، وتتوفر النقود ، ويستريح العامل ويرضى عن حياته .

وليست هذه النظرة غريبة على قوم يعيشون في عصر تتحكم فيه الآلة ، فما دام مصنع السيارات ينتج لنا كذا سيارة في اليوم ، ومصنع النسيج يخرج كذا الف قطعة في اليوم وو.. الخ . فلماذا لا يصلح المحلل النفساني ، النفس الانسانية في لحظة واحدة ؟! فيذهب المريض الى المحلل طالباً منه شفاء عاجلا . اما اذا كان على شيء من سعة الصدر فيتواضع في طلبه الى حد الشعور بتحسن ملموس خلال زياراته الاولى .. والا فعلم النفس

---

(١) الدكتور ابو مدين الشافعي مغربي الأصل ، ثم اكتسب الجنسية المصرية، ولكنه في ذلك الوقت لم يكن بعد قد حصل على جنسيته المصرية .

(٢) محاضرة القيت في القاعة الشرقية بالجامعة الامريكية ضمن برنامج تبسيط علم النفس

عذبة في عبارتها ، جميلة في خيالاتها وصورها ، ويمكنها ان تؤدي رسالة الشعر الى الحياة على اجمل وجه متى وصلت الى وجهتها الصحيحة ، فهي حتى الآن تتقلب في مراحل النضوج السريعة.

وهذه الخصائص الشعرية التي ذكرناها الآن لشاعرية نازك نلمسها على اروعها في قصيدتها «انشودة الابدية» التي تناجي فيها روح الفنان الخالد تشايكوفسكي بقولها :

سأحب الحياة من اجل الحانك يا بلبلي الحزين ، واحيا
سارى في النجوم من نور احلامك ظلا مخلداً ابديا
واذا ثارت العواصف في الليل وراء الحقل الرهيب الدجي
لمست روحي المشوقة فيها ذكريات من روحك الناري
ايها الموت ، ايها المارد الشرير ، يا لعنة الزمان العنيد
كيف ترضى يداك ان تقتل الالهام ؟ ماذا تركته للوجود ؟
سوف تفنى ذكراك انت ، ويبقى ظل ذاك الطير الجميل الوديع
سوف تبقى نجواه تخفق فوق الأرض بالحب والجمال الرفيع

وبعد فلست اود ان اختم الحديث قبل ان ارجو الى الشاعرة الموهوبة ان لا تجعل « للعقل » من شعرها المرتقب وطريقة نظمه اكثر من حظ الملح من الطعام ، وان تترك لطبعها الموهوب ، وعاطفتها الصافية، وخيالها الطليق، ان تدير دفة شعرها ليبلغ بحنان الى قلوب القراء . كما ارجو ان تطلق عاطفتها الحنون في مداها الارحب، لتطوف بوطنها العربي المحدود اولا، ثم بوطنها الانساني الاكبر لتغرف من فيضها الذي لا يغيض ، وانا كفيل بعد ذلك بان تصل الى ارحب آماد المجد الادبي الذي لا يموت .

عمان — عيسى الناعوري

دجل والمحلل دجال .

ولقد كان التحليل النفسي فيما مضى يستغرق وقتاً طويلا بالنسبة للعصر الحاضر ، وكان فرويد يقضي في علاج بعض الحالات سنوات طوالا . ونستطيع الآن ان نقول انه احتاج الى كل هذا الوقت لانه كان يعتمد الاعتماد الكلي على اللاشعور . كما كان يرى فصل الناحية النفسية عن الناحية الجسمية حتى انه طلب من الاطباء الذين كانوا يمارسون التحليل ان ينسوا كل ما درسوه عن الطب والعقاقير والا يهتموا في التحليل الا بالناحية اللاشعورية ، وصحيح ان اللاشعور لاهميته الكبرى، وانه يلعب دوراً كبيراً في الامراض النفسية، وان اكتشاف فرويد له يعتبر من اهم الاكتشافات وابدعها في علم النفس . ولكن اقتصار فرويد على اللاشعور ، وقصره الاهتمام على الناحية النفسية، كان السبب في اطالة الفترة التي كان يستغرقها التحليل.

والواقع اننا لا نستطيع ان نتصور الناحية النفسية ، منفصلة عن الناحية الجسمية بل على العكس من ذلك نرى بينهما تداخلا واتصالا ، ويتضح لنا ذلك بصورة قاطعة اذا ما درسنا الانفعال ، فالانسان المنفعل تضطرب مشاعره ، فيفقد الاتزان ، ويضطرب نتيجة لذلك سلوكه، فنراه يندفع اندفاعات طائشة غير موجهة كما يحدث مثلا عند سماع صوت شديد فجائي غير متوقع .

وما دمنا قد ذكرنا صلة الجسم بالنفس فيجدر بنا ان نشير الى ان نظرية جيمس لانج هي التي نبهتنا الى هذه الصلة ، وان نذكر رأي الدكتور ابو مدين الشافعي في هذه النظرية فقد قال(١) ان هذه النظرية صحيحة فيما يختص بالاطفال ، والمرضى الذين ادى مرضهم الى رجوعهم الى السلوك الطفلي . فالطفل تختلط افكاره ومشاعره بحركاته وسلوكه ولا يمكن الفصل بينهما، بل ان السلوك ليسبق الفكر في هذه الحالة .

اردنا مما سبق ان نقول بوجود اتصال بين الناحية النفسية والناحية الجسمية . ويمكننا اثبات ذلك بتحليل اي عمل جسماني وليكن قطع الاحجار . فالعامل الذي يحاول ان يكسر حجراً ، يبدأ اولا بالادراك البصري ومعرفة الوضع الملائم للجسم ثم يعبىء النشاط اللازم لتوجيه الحركات حتى يبدو عمله وحدة واحدة .

والتأثير متبادل بين الناحية الجسمية والناحية النفسية ، فالانفعال اذا كان شديداً ادى الى انفجار شريان في المخ ثم الى شلل نصفي (٢) كما ان الانسان ذا العاهة تتأثر حالته النفسية بعاهته فينتج الشعور بالنقص الذي يؤدي الى ان يختلف الانسان في سلوكه عن اترابه غير المصابين بعاهات .

***

تحدثنا فيما سلف عن الانسان ككائن بيولوجي ونسينا ان نذكر انه كائن اجتماعي ، فالانسان يعيش في بيئته التي يتفاعل معها ، فيؤثر فيها ويتأثر بها، وتخضع لقوانينها وماداتها وتقاليدها ومعتقداتها .. وواضح ان هناك اتصال بين الناحية النفسية والناحية الاجتماعية ، فاذا كان قطع الاحجار يتطلب نشاطاً نفسياً ليوحد لنا الفعل ، ويجعلنا نزن الضربة حتى لا تكون شديدة فتخل بتوازننا او هينة لا تؤدي الى نتيجة ، فان كل فعل اجتماعي يتطلب تكيفاً خاصاً يناسب الاشخاص الذين نقوم بالفعل معهم ، والاحوال التي يتم فيها الفعل، ويستدعي هذا التكيف نشاطاً متغيراً متجدداً تبعاً لتغير الاشخاص والاحوال . فيجب اذن عند معالجتنا لاي حالة ان ندرس الظروف الاجتماعية فقد تكون هي السبب المباشر في وجود المرض . ولنضرب لذلك مثلا بالرجل الذي اضطربت احواله العائلية او بالرجل الضعيف الذي عاش في وسط رياضي فرأى كل المحيطين به اقوياء ، فظهر له عجزه وضعفه وتضخم شعوره هذا على مر الايام واثر في حياته النفسية . او بالرجل الذي اضطربت عقيدته وتشكك في دينه فبات الشك يقلقه ويسهده ويقض مضجعه حتى ساءت حالته النفسية والجسمية ايضاً .

اردت من هذا ان ابين تداخل النواحي النفسية والجسمية والاجتماعية في الفعل الانساني لدرجة أنه لا يمكن فصل الواحدة منها عن الاخرى . فالفعل الانساني يتطلب :

قدرة جسمية وفهما للفعل والموقف .

ثم نشاطاً يلائم بين الفعل والبيئة طبيعية كانت ام اجتماعية .

ولقد كان من جراء عدم اهتمام فرويد بالناحية الجسمية ان نشأت مدرسة السلوكيين وعلى رأسها واطسن ، وقد سميت كذلك لاقتصارها على السلوك دون غيره ولانكارها النشاط النفسي . ثم جاءت المدرسة الاجتماعية برئاسة دوركيم واقتصرت بطبيعة الحال على الناحية

---

(١) الفعل الارادي ص٤٣ : الدكتور ابو مدين الشافعي ، طبع سنة ١٩٤٨ دار الفكر العربي

(٢) مجلة التربية الحديثة ديسمبر سنة ١٩٥١ : مقالة الانفعال والسلوك لسمير التنداوي ص ١٥

الاجتماعية . ثم اتضح اخيراً اتصال هذه النواحي وتداخلها وتفاعلها فظهر لنا المنهج التكاملي .

ولقد ظهر المنهج التكاملي اول ما ظهر في ميدان البيولوجيا ، ثم استخدم في علم النفس . ومن الذين قالوا بالتكامل البيولوجي بافلوف وتلميذه أنرب ثم ادرك مارستون امكان تطبيق التكامل البيولوجي على علم النفس وحاول ذلك ولكن محاولته كانت ناقصة(١) ثم اتى الدكتور يوسف مراد فكان له فضل اكتشاف المنهج التكاملي في علم النفس وهو المنهج(٢) الذي يراعي عند تفسير سلوك الانسان ، ماضي الشخص وحاضره وما يحتمل ان يؤول اليه في المستقبل ، كما يراعي ديناميك الحياة الانسانية وما تمتاز به من ثراء . والنمو عنده ليس تقدماً في خط مستقيم وليس وجوداً عابراً بين عدمين وانما هو نكوص بعد تقدم وهذا النكوص لا يعود بالكائن الى نقطة البدء ، وانما يثب به الى نقطة تحمل الكائن الى ابعد مما وصل اليه في المرحلة السابقة ، فليس النمو اذن اضافة الجديد الى القديم ، بل اعادة تنظيم القديم في ضوء الجديد ثم تمثيل الجديد وطبعه بطابع النظام الكلي الذي يسعى لتحقيق غايته ونموذجه . وهذا هو ما يسمى بالحركة اللولبية التي تعتبر العمود الفقري للمنهج التكاملي . وصنف الدكتور مراد الوقائع النفسية طبقاً لهذا المنهج في كتابه « مبادىء علم النفس » .

(١) راجع نقد نظرية الانفعال عند مارستون في مجلة التربية الحديثة ص١١٥ وما بعدها عدد ديسمبر سنة ١٩٥١ في مقال نشره صاحب المقال بعنوان الانفعال والسلوك

(٢) مجلة علم النفس : يصدرها الدكتور يوسف مراد مجلد(١) عدد فبراير سنة ١٩٤٦ مقالة المنهج التكاملي وتصنيف الوقائع النفسية للدكتور مراد

ثم قام الدكتور ابو مدين الشافعي بتطبيق هذا المنهج تطبيقاً عملياً في ابحاثه التي قام بها . فدرس لنا التعب ، والفعل الارادي ، والانتباه الارادي وقال بوجود المجالات لحياة الانسان ان هي الا نتيجة تفاعل مجالاته الثلاثة وتكاملها . ولقد قال الاستاذ ليفين بفكرة المجالات هذه في فرنسا . ووجد الدكتور الشافعي ان لكل انسان ايقاعاً ثابتاً يخضع له الانسان في حياته ويسير على نهجه فاذا اضطرب هذا الايقاع اضطربت حياة الانسان وكان لزاماً على المحلل ان يرجعه الى حالته الاولى وقد استعان بالايقاع السمعي مضافاً اليه البصري موزعين بطريقة خاصة تناسب حالة المريض وخاصة المصاب بداء الصرع وكانت فكرة الايقاع هذه وما زالت منتشرة في ارياف مصر على صورة بدائية ويطلق عليها اسم « الزار » وكان للدكتور ابو مدين الشافعي فضل اكتشافها وتنظيمها تنظيماً علمياً واخضاعها الى التجارب والقوانين. ثم قام الدكتور صبري جرجس بتطبيق المنهج التكاملي في دراسته للسلوك السيكوباتي ، كما طبقه الاستاذ مصطفى اسماعيل سويف على الناحية الادبية والابداع وخاصة في الشعر .

والان يمكنني من كلامي هذا ان استنتج ان التحليل النفسي قد اصبح ياخذ بوجهة النظر التكاملية بعد ان وجد ان النظر بعين الاعتبار الى كل ناحية من النواحي الثلاث يساعد على تقصير فترة العلاج ويؤدي الى تحسين سريع محسوس ولكن يجب مع ذلك الا نطلب من المحلل معجزات او نسأله سحراً .

القاهرة سمير بولس التنداوي



الى راقصة

مهداة الى الشاعر الحر البير أديب

✡

تهوّم في مقلتيك النجومُ وتستيقظ الظلمة الداميه
على نقلة القدم المستخف أمان مسعّرة شاكيه
تجوع وتلهث بين الظلال على بحة اللهفة العاويه
وحمى الضياء .. وحمى العزيف .. وحمى انوثتك الطاغيه
تهادى فينهار دفء الحنين فراشا لفتنتك الداعيه
ليسبح حول الخطوط التي يكسّرها الخصر في زاويه

***

تطيرين في خفة كالعطور تحلّق في الضحوة الصافيه
وتروين في رعشات النهود ملاحم ليلاتك الضاريه
على راحتيك يجوع المساء وفي مقلتيك ضحى الهاويه
يرف على الصدر منك الضياء لتأكله الأعين الرانيه
ويمرح فيه احتدام الضرام وأنفاس لهفتنا العاتيه
على صدحة كفحيح الدماء تثيرُ مشاعرنا الصاحيه

***

ذبحت على قدميك الشباب قرابين أوثانك الغاليه
وفي هيكل النشوة الزئبقي نحرت صباباتيَ العاصيه
فيا رقصة النار .. هذا الحنين يعانق أشواقك الظاميه
يعانق فيك مجوسية ترامت على لهب راضيه
لتنسج من رعشات العناق خلود انوثتها الضاحيه
كاسطورة من خيال الهنود تجسدها رقصة عاريه

القاهرة — كمال نشأت

النهر العميق

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

أفقت ذات صباح من نوم ثقيل فأدركت أني مستلق على ضفة النهر وما كدت أتحرك حتى شعرت بألم يحطم رأسي ، وأحشائي تتلوى .

وهممت بالقيام على قدمي، ولكن عزيمتي خانتني في المحاولة الاولى ، فقلت لنفسي : « ولماذا اقوم ؟ الى اين اذهب ؟ » ولمحت مياه دجلة الصفراء تتألق كمستنقع راكد ينفث الغازات المسمومة ، فخيل الى اني ارتميت على حافته ، فابتلعني المستنقع على مهل ، وانطلقت من فمي الفقاقيع . ثم تساءلت : وماذا ترى تفعل عائدة حين تسمع اني انتشلت من بين الاوحال جثة مشوهة ؟ العلها ستبكي ؟ ألعلها ستكتب قصيدة في رثائي لن تقرأها لاحد ؟ العلها ستفكر في الانتحار ايضاً ؟ وماذا يقول ابي ؟ سيأتيه الخبر وزجاجة العرق بين يديه . ولن يفهم فحوى الخبر في بادىء الامر ، ولعله سيشتم جليسه ، ويقذف بالزجاجة في وجه الخادمة . ولا شك ان قلبه سينفطر رغماً عن نفسه ويقول : « يا ضيعة شبابك ! » .

يا ضيعة الشباب ! هممت بالنهوض مرة اخرى فنجحت ، واذا برجل مهلهل الثياب جالس على مقربة مني يرقبني . وكان اول ما لحظت فيه قدميه الكبيرتين : قدمين حافيتين ، تضخمت كل اصبع فيهما حتى غدت كقطعة من الحطب . قدمين حطبيتين ، لعلهما تحترقان بلهيب يتطاير الشرر منه لو أدني منهما عود كبريت . وسمعته يقول وهو ثابت في مكانه، وفي يده مسبحة صغيرة: « اتريد مساعدة يا ولد ؟ »

مساعدة ! وليت له ظهري ومشيت حاملا وقر رأسي المصدوع الى ان مرت بي عربة اوقفتها ، وفي شيء من الصعوبة علوتها واستلقيت على المقعد . ولما سألني السائق « الى اين ؟ » عجزت عن الجواب ، ثم قلت « الى باب المعظم » .

ونظرت الى مؤخر رأس السائق ، وشعره القذر ينزل من تحت عمامته الملونة بعرقه ، ويصبغ ياقته المرقعة ، فادركت ان لا صديق لي في «باب المعظم» وانني لا اريد الذهاب هناك . غير انني لم استطع ان اتكلم لبضع دقائق ، والحصانان العجوزان – او هكذا خلتهما – يركضان بالعربة ، والسوط يهوي عليهما بين آونة وآونة .

السوط ... رددت الكلمة لنفسي ، وفي الحال تذكرت حسين العالي الذي يشتغل في جريدة « صوت الزمان » . لا ريب ان حسين سيكون الان في غرفته الصغيرة في المطبعة مغموراً بين الاوراق التي يكرهها ، يكتب ويصحح ويوسخ يديه بحبر الطباعة ويلعن الناس الذين يشترون جريدة لا يعطيه صاحبها من الراتب اكثر من تسعة دنانير في الشهر . يا ضيعة الشباب وضيعة العلم معاً !

قلت للسائق : خذني الى مطبعة صوت الزمان .

واذ سمعت صوتي صادراً عن حنجرتي بشيء من العزيمة شعرت بشيء من الانتعاش ، فمددت يدي الى شعري ورتبت وضعه ، ثم شددت رباط عنقي ، واخرجت من جيبي علبة السكاير ، ولسبب ما اعطيت سيكارة للسائق ، ولما التفت نحوي ليأخذها ، رأيت وجهه المبتسم شكراً فقلت لنفسي : يا له من وجه رهيب ... أتراه يحجم عن جريمة قتل ؟

ولما نزلت من العربة ، عند باب مكتب الجريدة ، هرعت الى الداخل ، واذا السائق يصيح ورائي ، ولشد ما كان خجلي حين ادركت انني نسيت ان اعطيه اجرته . فاعطيته اربعة دراهم دون تردد ، أخذها دون ان ينبس بكلمة شكر ، وانطلق بحصانيه العجوزين .

وما كدت ادخل المكتب حتى شعرت بان في الجو شيئاً يبعث على الريبة . فقد اختلط الكتبة مع العمال والخدم ، وكلهم يلغطون وما ان رأوني حتى صاحوا : « ها هو كامل ، ها هو كامل » وبادروني في الحال بقولهم : « اين تركت حسين ؟ »

وتوجهت نحوي الابصار بشكل أثار اشمئزازي ، فانني في تلك اللحظة ، على قصرها ، وعلى شدة الالم في رأسي ، والاعياء في جسمي ، رأيت عيونهم واحدة ، كلها جاحظة كلها محمرة كثيرة العروق في وجوه كأنها من خلق كابوس كريه .

قلت : وماذا جرى لحسين ؟ . لقد جئت لاراه .

فقال الطباع – وقد نسيت اسمه : الا تعرف ماذا حدث ؟ .

وقال احد الفراشين : اذهب واختبىء في الحال !

وقال سمير ، احد المسؤولين عن



الجريدة: ما الذي فعلت يا كامل؟ يظهر انك اوقعت حسين في مصيبة
فصحت منزعجاً: ما لكم تتهالون علي بهذه الاقوال المزعجة؟ ماذا حدث ؟.
فقال سمير : لقد جاء الشرطة والقوا القبض على حسين .
ـ ولماذا ؟. ـ لانه كان معك .
ـ ماذا تقصد بذلك ؟. ـ انهم يبحثون عنك .
فقلت مندهشاً : عني ؟.
فقال سمير ناصحاً : « خير لك ان تغادر بغداد في الحال . لا تذهب الى الدار لانهم في انتظارك هناك . اما حسين ... »
فلم أتورع عن ابداء الشراسة لتلك الوجوه المشدوهة ، وقلت : « لا اريد نصائحكم . انكم تنظرون الي وقلوبكم ترقص فرحاً لانكم تظنون انني مجرم. ولم يخطر في بالكم لحظة انني قد لا اكون مجرماً . قبحكم الله فوق قبحكم جميعاً ! »
وخرجت وانا انتفض غيظاً . وذهبت الى اول مقهى صادفني وتهالكت على مقعد في احدى الزوايا . وحاولت ان افكر في امر الشرطة الذين يبحثون عني ، غير انني لم استطع التفكير طويلا . وما كدت اشرب قدح الشاي الذي قدم الي حتى شعرت بنعاس شديد ، استسلمت له طائعاً . ولكن يداً عنيفة هزتني وايقظتني ، واذا انا ارى فوق رأسي وجه اخي شفيق . لم ار اخي مضطرب العينين ، معرق الوجه كما رأيته في تلك اللحظة : قال : « ما الذي تفعله هنا ؟ »
ـ وما الذي يفعله هؤلاء الرجال جميعاً حولي ؟ .
ـ الست تظن انه يجمل بك الان ان تقرر امرك ؟
ـ ما الذي تعني ؟
ـ الشرطة يا احمق ! اكان من الضروري ان تفعل ما فعلت؟
فجن جنوني ثانية وصحت : ماذا فعلت؟ ماذا فعلت ؟ انصرف عن وجهي ! .
فهز شفيق كتفيه وقال افعل ما تشاء . وانا ، على كل حال ، لن اخبر احد بانني رأيتك هنا . قال ذلك وانصرف .
ولاول مرة اصابت جسمي قشعريرة ، وشعرت بالدم ينسحب من رأسي ... اتراني متهماً بجريمة وانا لا اعرف ؟ اتراني حقاً ارتكبت جريمة ؟ .
ورأيت في مخيلتي وجه سائق العربة يبتسم الي ويتناول السيجارة مني . وجه مجرم ... ورأيت الرجل المندلق البطن الجالس بالباب ، وطبق الفلوس بين يديه ـ واذا وجهه كوجه سائق العربة : وجه رهيب ... فقمت في الحال ، ودفعت ثمن الشاي له . لعل وجهي لا يختلف عن ذلك الوجه ـ رغم العمامة العتيقة التي تعلوه ... وجه مجرم .
وما كدت اخطو خطوتين حتى اطبق علي شرطيان . ولم اقاوم قط . نظرت الى احدهما وقلت : الى المخفر ؟.
فقال : اجل . قلت : هيا بنا .
وشعرت بارتياح عجيب ...

***

وما ان بلغنا مخفر الشرطة حتى اودعت في غرفة صغيرة لها باب حديدي . ولم يتكلم معي احد ، بل رأيت العيون ترمقني في مزيج من الشفقة والاحتقار ، ورأيت رجلا قصيراً بديناً ينظر الي في رعب ظاهر ويبتعد عني .
ولشدة تعجبي جلست على الارض ، وحاولت ان استجلي ما فعلت امس واليوم الذي قبله ، لكي استطيع ان اثبت براءتي اذا احتاج الامر . وما ان فكرت في ذلك حتى ارتعدت فرائصي هلعاً . فقد أبت ذكريات الامس ان تدنو مني ... واذ امس كورقة مزقت من كتاب افتش عنها عبثاً ... فشعرت كمن هو على وشك الغرق يكافح الموج لكي يصل الى الضفة، ولكن الضفة تبتعد عنه رغم كفاحه ... رباه ... ما الذي فعلته امس ؟ وكيف وجدتني اليوم ملقى على ضفة النهر ؟.
لقد كان آخر ما اذكره مقابلتي لعائدة في دار ابيها. ولكن الوقت كان صباحاً ، فانني اذكر قولها قبل ان انصرف ان اباها سيعود في الثانية عشرة واذا رآني هناك حدث ما لا تحمد عقباه. عائدة ... وتذكرت عينيها الواسعتين وقد امتلأتا فزعاً .. كانت تقص علي حلماً مخيفاً رأته تلك الليلة :
« كنت جالسة في هذه الغرفة (ما اوضح ما اذكر حلمها!) ولكنها كانت صغيرة جداً ، اشبه بزنزانة في السجن ، واذا بك تنظر الي من وراء النافذة وفي يدك ورود بيضاء وتقول : تعالي اخرجي الى هذه الحديقة . فوجدت ان حول دارنا حديقة جميلة ملأى بالزهور ، فلم اتردد في القفز من النافذة الى الخارج . فاعطيتني وردة ، ولكنني كلما حاولت ان ادنيها من انفي شعرت بثقل هائل يمنع يدي عن الارتفاع ... ثم خرجنا معاً من الحديقة ، واذا نحن قرب النهر ، فمشينا نحوه ، وانا احاول عبثاً ان ارفع الوردة الي انفي لاشمها ... ومن حيث لا ادري خرجت سيارة كبيرة مملوءة بالجنود وجعلت تلحق بنا ، فقلت لي ، لندخل مياه النهر ونختبيء فيها ، فلا يرونا . ولما دخلنا المياه انزلنا راسينا تحت الماء ، غير انني شعرت بحاجة الى التنفس وحاولت ان

اخرج راسي الى الهواء ولكنك منعتني ، فجعلت اعاركك وانت تمنعني حتى احسست باني اختنق ... وافقت وقلبي يدق كمطرقة على صدري ...»

وتذكرت كيف كنت قبل ذلك قد سمعت جرس التليفون يدق وانا في غرفة النوم ــ ولما اتناول فطوري ــ فنزلت الدرج راكضا كاني اعلم ان عائدة هي التي تريدني . واذا صوتها بادي الاضطراب وهي تقول : « ليس في الدار احد . اريد ان اراك اليوم ــ هذا الصباح اسرع الي ».وكان قد مر اكثر من اسبوع لم ارها فيه . فخرجت في الحال واستأجرت اول سيارة عابرة الى دارها واذا هي ترقب المارة من بين ستائر النافذة في انتظاري .

اذن ، فقد قضيت نصف نهار أمس مع عائدة . فاذا اقتضى الامر ، حين اعرف ما الذي يتهمونني به ، طلبت اليها ان تشهد بذلك . آ ، ولكن ..

ماذا يقول ابوها المقدم سالم الجبلي ، اذا علم بذلك ؟ أتراه يسمح لها بالادلاء بشهادة مثل تلك ؟ . بل ان الامر اسوأ من ذلك بكثير . إنه اذا علم أننا قضينا الصباح معاً في غرفتها ، فمن يدري اي عقاب مريع سينزله بابنته ؟

اذن لا أستطيع الاعتماد عليها .

وحاولت ثانية ان اذكر ما فعلته بعد ذلك ــ دون جدوى ــ ولا سيما بعد ان مرت صورة سالم الجبلي في مخيلتي بوجهه المجدور وكبريائه التي لا توصف . فكلما ذكرته تخيلت عائدة بعينيها الواسعتين «ما اطول اهدافها السوداء وما اجملها ! » تطأطىء راسها وتشد بقبضتها ، ولكمات ابيها تنهال عليها اني وقعت ، وهي تمنع نفسها عن البكاء ــ الى ان تختلي بنفسها .

وقد غدت صورة سالم الجبلي تثير فيّ انا ايضاً شعوراً كريهاً بالرعب ، ولكنه رعب تمازجه بغضاء مريرة كثيراً ما ظننت انها ستدفعني يوماً الى قتله .

وفي هذه المرة حالما ذكرته ،هاجمني ألم حاد في مؤخر رأسي وتشنجت اعصابي ، وشعرت بالخور في جسمي من جديد . غير ان شرطيين تقدما من الباب الحديدي وفتحاه ، وصاحا بي :

« قم يا ... ! »

ونهضت مستجمعاً ما تبقى لدي من قوة ، وأخذاني الى غرفة مأمور التحقيق .

كان هذا رجلا كبير الراس حليق الشعر ، له شارب قصير عريض تحت منخريه ، تتدلى شفته السفلى الكبيرة كشفة الجمل . ازجى إلي نظرة من عينين واسعتين رايت فيها مزيجاً من البله والقسوة . ويظهر انه كان في انتظاري . وقد جلس على المنضدة التي على يمينه شاب مصفف الشعر جميله « وقد لحظت ذلك في الحال لانه كان يلمع بما عليه من زيت »

قال المأمور : ما اسمك ؟ . قلت : كامل الصوفي .

وادركت ، اذ جعل الشاب الذي على يمينه يدون ما قلت انه سيدون الشهادة التي سادلي بها ــ واني لها ان يعرفا الا شهادة هناك البتة ؟

قال المأمور : عمرك ؟ . قلت : ٢٤ .

ــ حسناً . والآن اريدك ان تعطيني تفاصيل ما فعلت ، ولا تخف عني شيئاً ابداً.انت تعرف ولا شك ــ لانك متعلم كما يبدو لي ــ انت تعرف ان القانون فوق الجميع وان القانون لا مفر لانسان منه . ولكن اذا تكلمت الصدق ، فلعل العدالة سترأف بك فيكون قصاصك اقل ما تستحق . تكلم .

قلت : أتكلم عن ماذا ؟ .

اولا كيف اقترفت الجريمة . ثم تخبرنا عن الدوافع.وتذكر ان عندنا ادلة وتفاصيل كثيرة ولن تستطيع المخاتلة او التحريف في وصف ما فعلت .

اني مستعد لوصف جريمة اقترفتها يا سيدي . ولكن بودي لو اعلم اولا ما هي هذه الجريمة التي تعتقدون اني اقترفتها .

وما كدت افرغ من قولي حتى هاجمني احد الشرطيين ورفع يده بعنف ثم انزلها دون ان يهوي بها علي وصاح:«اجب على اسئلة جلال بك ولا تكذب ! »

قلت موجهاً كلامي الى المأمور:يخيل الي ان هناك خطأً ما فانا لا أذكر اني اتيت اي شيء مما يعد خروجاً على القانون ــ سوى اني اسرفت في الشرب في اليومين او الثلاثة الايام الاخيرة

وبدا ان هذا الكلام لم يرق لجلال «بك» فقد احمر وجهه فجأة وجحظت عيناه الكبيرتان وبدت شفته السفلى كانها تتضخم حين ضرب المنضدة بيمينه وصاح:

«ما هذا الحكي؟ اتسخر منا ؟ اترتكب جريمة قتل في رابعة النهار وتدعي انك لم تفعل شيئاً سوى الاسراف في الشرب ؟ . الا تعلم ان حبل المشنقة في انتظارك يا حيوان ؟ اتتعدى على بنات الاشراف ثم تتظاهر بالبله ؟ »

وما كان منه الا ان نهض من مكانه ولطمني على وجهي لطمة شديدة رنت لها اذناي ثم عاد الى مكانه .

وكدت اسقط ارضاً من الاعياء والالم وهول هذه الاهانة

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات فى الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا

او ٦٠ دولار كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ { Direct. : 92 - 47 Tél.
{ المنزل : ٣٧ - ٤٨ { Dcle. : 48 - 37

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

غير اني تجلدت وسددت نظرة كراهية مريرة الى عيني السيد جلال . اما هو فاستوى على كرسيه وعاد اليه هدوؤه بسرعة عجيبة ، ثم قال :

«والآن هات ما عندك . كيف قتلت عائدة ابنة سالم الجبلي ؟»

وما سمعت ذلك حتى شعرت الارض تميد بي وهاجمت اذني اصوات مدوية رهيبة ، وتلوت احشائي مرة اخرى تلوياً مؤلماً وللحال أغمي علي .

***

وعندما افقت وجدتني ملقى على الارض ، وارجل الشرطيين منتصبة فوقي من الجانبين . فتذكرت في الحال اين انا وجئت بحركة اريد بها القيام ، واذا احدهما ينحني ويساعدني في النهوض غير اني لم استطع الوقوف على قدمي بثبات ، فاتكأت عليه ، ولم اجد مامور التحقيق في مكانه ، ولا الشاب الذي كان على يمينه .

واقتادني الشرطيان وهما يلغطان بالكلام الى الغرفة التي وضعوني فيها اول مرة وقال احدهما : « تهيأ للكلام بعد الظهر » .

ودار المفتاح في القفل . ولم اجد بين جوانب ذهني الا فراغاً لا يحد ...

ثم جاءني احد الشرطيين مرة اخرى ، وانا جالس على الارض ، وناولني استكاناً من الشاي فشكرته ، وشربت الشاي في بضع جرعات كبيرة ، ثم اضطجعت جانباً ، واستسلمت للنوم . غير اني رأيت عائدة في حلمي تتحدث الي ، ولها وجه شاحب الصفرة ، وفي صدرها جرح بليغ ، ففزعت لرؤيتها كذلك وافقت من نومي ، واذا بي فجأة اتذكر كل شيء ... يا للهول ! هذه عائدة واقفة امامي تتضرع الي ، وهذا انا وفي يدي مسدس ابي وها انا اطلق النار عليها ، ولا اتريث لاراها تسقط مضرجة بدمائها ، بل القي المسدس من يدي ، واخرج مهرولا الى الشارع ، ثم استقل سيارة الى مطبعة «صوت الزمان» حيث ارى حسين العالي ، فنخرج معاً ، ونذهب الى غرفته ...

لم اكن لافر من وجه العدالة حين صممت على قتل عائدة . بل كنت عقدت النية على تسليم نفسي في الحال . ولذا فسوف اقر الان بكل شيء .

***

وفي غرفة مأمور التحقيق ، وقد عاد هذا الى منضدته ، وكاتبه الى يمينه قلت :

« اجل يا سيدي ، انا الذي قتلت عائدة الجبلي . وقد قتلتها بكامل وعي وادراكي .

« لست ادري ان كان يهمك ان تعلم ان عائدة الجبلي كانت فتاة شديدة الذكاء ، شديدة الحساسية . وقد كانت احياناً تنظم شعراً لا تقرأه على مسمع احد سواي . وكان شعرها رائعاً » .

فلوى المأمور شفتيه احتقاراً وقال :

« لا تخف الا من هؤلاء النسوة اللواتي لا يكتفين بشغل المنزل ، بل يكتبن شعراً ايضاً » .

قلت : « وكنت احبها . فانا قد بلغت هذا العمر ولم احب امرأة سواها . وقد بدأ حبنا منذ سنتين تقريباً . وكانت هي ايضاً تحبني » .

فبصق المأمور على الارض، ثم اعمل قدمه في مسح البصاق.

« وكنت اريد الزواج منها . ولكن اباهـا ، المقدم سالم الجبلي ، ما كاد يعي بذلك حتى ثارت ثائرته وهددني يوماً بالقتل ان انا لم ابتعد عن عائلته . ولم يكن له من عائلة سوى ابنته هذه، وخادمة عجوز وسائق سيارته . الا ان عائدة لم تكن على وئام مع ابيها . وكان احياناً يضربها . اما بعد معرفته بنوايانا ، فقد جعل يكثر من ضربها ولا يتورع احياناً ، من استعمال حزامه الجلدي لذلك الغرض » .

فضحك المأمور وقال : « اذا ارادت المرأة ان (وهنا استعمل كلمة بذيئة) ، فهيهات لاحد ان يمنعها » .

واستمررت في القول غير آبه لتعليقاته :

« ولكن ذلك لم يمنعنا عن اللقـاء ، بل زاد من حدة عواطفنا . فقد كان ابوها يضطر كثيراً الى التغيب عن المنزل ، فكنت اذا علمت بغيابه لا احجم عن زيارتها في غرفتهـا . غير ان الخوف الذي كان يلازمنا لم يرأف بنا يوماً ، وغدت عائدة عصبية ، كثيرة الالم ، مستمرة الارق ، حتى جعل جسمها ينهد تحت ضغط آلامها وقلة نومها ، واذا نامت رأت احلاماً مفزعة . اما ابوها ، فقد لحظ ذلك منها ، الا انه لم ينثن عن مقاومتهـا وتعذيبهـا .

« واخيراً ادركت انني انا المحقوق في كل هـذا . فلا انا استطيع الهروب بها والزواج منها ، ولا انا اتركها وشأنها . اما لماذا لم استطع الزواج منها ، فذلك لان راتبي الضئيل لا يكفي للاعزب بله المتزوج . كما انني لم اكن على وفاق مع ابي » .

ـ ولم لا ؟ الا تعادون الا آباءكم ؟

ـ لقد بذر ابي امواله على الشرب ... لقد امسك بالزجاجة منذ سنين وصمم على ان ينتحر بها ببطء ... ونحن ثلاثة اخوة في البيت لا نستطيع ان نوقفه عند حد . وقد باع جزءاً كبيراً من اراضينا دون علم منـا ـ ولكن ذلك بحث آخر . ابي يتهمني بالثورة عليه ، ويهددني بالحرمان من الارث ، وانا ساخط عليه وعلى اصدقائه الذين جعلوا من حياته جحيما ... ولكن ذلك ، كما قلت يا سيدي ، بحث آخر .

« اذن قلت لعائدة انني لن اراها ثانية ، وانه يليق بي ان انصرف عنها ، فتحظى بعطف ابيها ، ولعلها بعد ذلك تجد لها زوجاً يسعدها .

«وكان ذلك بدء الانهيار... اتسمح لي بكأس من الماء؟».

وشربت الماء جرعة واحدة .

« بكت وتضرعت الي الا اغادرها ، واقسمت انها ، ان هجرتها ، لتنتحرن .. وجعلت تتصل بي تليفونياً كل يوم . ولم اكن انا اسعد منها حالا ، فانا لم احب امرأة قط سواها ، ولما كنت اجد فيها الجمال الذي انشده في المرأة ، فقد عميت عن كل انسان في الدنيا إلاها . ولما لم اجد في البيت اية سعادة او راحة بال ، اخذت اتصورني في مثل وضعها تماماً :كلانا يشقى في حب لا يستطيع ان يظفر فيه بمتعة تامة مطلقاً ، وكلانا ضحية والده ..

« وجئت ذات يوم الى الدار ، فوجدت ابي في ثورة هوجاء من الغضب ، يترنح سكراً ويتعثر على اثاث المنزل ، ويصيح باخي شفيق . وما ان دخلت الغرفـة حتى قذف بزجاجته في وجهي واسمعني شتائم انتفض جسمي لها غضباً ، حتى كدت على وشك الرد عليه بافظع منها . واذا غضبه ايضاً من اجل عائدة ، فقـد حدثه سالم الجبلي بامري واثار حفيظته علي ، وما ان عاد الى البيت حتى استسلم للعرق ، واخذ يصخب ويزمجر على اخي شفيق لانه لا يردعني عن « دعارتي وفسقي » .

« وقد اصابت الزجاجة التي قذف بها خدي الايمن ، حتى ظننت ان عيني اليمنى قد اصيبت ، فجعلت اتحسسها متوجعاً وانا اكتم سورة غيظي ـ واذا ابي يخرج مسدساً من خزانة صغيرة كان دائماً يقفلها بحيطة وحذر ويحفظ مفتاحها معه. فلم يكن من اخي ومني الا ان هاجمناه بعنف ـ وقـد قاوم بشدة عجيبة ـ رغم ترنحه ـ واستخلصت المسدس منه ، وخرجت من البيت هائماً على وجهي ، وقد وضعت المسدس في جيبي .

« وفي صباح اليوم التالي ـ بعد ان قضيت ليلة في « فندق النهرين » ـ ذهبت الى عائدة ، واخبرتها بما حدث، فطلبت الي ان اترك المسدس في عهدتها لئلا يصيبني أذى به اذا اعدته الى

البيت ، وقد ترددت في ذلك غير انها الحت علي ، فسلمته اليها .

« وبعد ذلك ببضعة ايام ــ ومن العجيب ان ابي لم يطالبني باعادة المسدس ، بل لم يذكره قط ــ بعد ذلك ببضعة ايام رأيت عائدة ، واذا هي مصفرة شاحبة،وفي عينها آثار الدموع المحرقة وبادرتني بقولها :

« ــ لقد عزمت يا كامل على واحد من امرين : إما ان اقتل نفسي او اقتل ابي ...

« فهلعت لذلك القول وعنفتها على حماقة كتلك ، غير انها اندلعت في وجهي اندلاع النار وقالت :

« ــ او اقتلك انت؟ انك السبب في شقائي،وبؤسي ــ وسوف تكون السبب في عاري ايضاً! لقد جاهرت ابي امس بحبي لك، وطالبته بشيء من الارث الذي استحقه من مال أمي ، وصرحت له باني ساسافر معك الى حيثما شئت ــ فثار جنونه واقسم انه سوف يتخلص منك مهما كلفه الامر ! ثم انهال علي بالضرب ، وكنت قد توقعت ذلك ، واقسم ثانية ان انا قلت مثل هذا القول مرة اخرى ان يعلن للملأ باني .. مجنونة ! .. وكل ذلك من اجلك ، من اجلك ، من اجلك ، من اجلك ...

« وانفجرت ببكاء هستيري تقطع له قلبي » .

***

كان جلال « بك » في اثناء هذا يصغي الي باهتمام وقد تدلت شفته السفلى ، ومع انني كنت ارى على وجهه احياناً امارات السخرية الا انني ذكرت له ما ذكرت وانا اشعر بانه لا يستحق ان اطلعه على دخائل نفسي او اسمعه قصة حبي . بيد انني لم اذكر من قصتي الا خطوطها الظاهرة ، اما ما عدا ذلك فمن مقدساتي، ولن اسمح له بان يتلمس خلجات قلبي ... واني لاستطيع ان اتخيل الصور الفاضحة التي كانت تمر في ذهنه لعائدة اذ اختلي بها ، ولا ريب انه كان يتمنى لو اسهبت في وصف حبي اكثر مما فعلت . ولكن أنى لانسان ــ بله هذا الاحمق ــ ان يدرك الدوافع الغامضة التي تفعل في نفس شاب يعرف الحب لاول مرة ، وقد لذ له ، كما يلذ لكل عاشق حديث العهد بالحب ، ان يتألم في حبه،ويتعذب في شهوته ؟. لقد ادركت انني حين اتحدى ابي وابا عائدة ، انما اتحدى المجتمع ــ فخيل الي انني بطل مأساة علي ان استمر بها فاوصلها الى الذروة من الالم واللذة ، واذا ما بكت عائدة بين يدي، وكدت ابكي معها ، كنت اشعر شعوراً غريباً بان جسمي ، كجسم عائدة ، حين يتشنج من شدة الالم، ينتفض ايضاً من لذة الحب الذي اوجد ذلك الالم ...

واستانفت قصتي :

« حينئذ ادركت ان عزمها ازاء الحياة قد تضعضع .ولم يكن يأسي اقل من يأسها ، وكانت خواطر الموت تراودنا كثيراً ، فجعلنا نرى في الموت نجاة من مجتمع اصابه النتن بما فيه من تعصب ورذيلة، فلجأ الى الظلم كي يستر رائحته الكريهة .وليس ذلك فحسب ، بل جعلت عائدة تتغزل بالموت وما سيليه من حياة مخلدة في الكواكب النائية ، حيث تتعانق الارواح في نشوة ساوية ، بعيدة عن فجور الذين غلظت قلوبهم فتعست بهم الارض» .

وراعني هنا ان انفجر جلال « بك » في قهقهة عالية،وانضم اليه في القهقهة كل من في الغرفة من شرطة . فانتظرت حتى فرغوا من ضحكهم ، وقال جلال بك :

« حسناً ، حسناً . اكمل » :

« وبعد ذلك بايام قلائل ، دعتني تلفونياً الى رؤيتها ، فهرعت اليها ، فقصت علي حلماً مزعجاً رأته تلك الليلة ــ وكان ذلك صباح امس على ما اذكر . وقد قالت بعد ان قصت حلمها :

ــ لقد قضيت علي يا كامل ... ليتك سببت لي عاراً امام الملأ وعلى مشهد من الناس ، فلعل احد اقربائي كان ينقض علي حينئذ بخنجر ويزهق روحي ! ولكنك تزهق روحي على مهل، فاري في الليل اناساً يحيطون بي ، وكلهم انت، كلهم لهم عيناك وشفتاك وجسمك ، انما تلفت رأيت واحداً منهم يتأهب للانقضاض علي ليحطمني بين ذراعيه ، ثم يطبقون علي جميعهم دفعة واحدة .. واذا هم انت ، بيديك السحريتين المغريتين وهمسك المسموم يسري في دمي، فاموت ببطء، ولا اموت ، واتقلب في فراشي لعلني انجو من الموت فلا يدنو مني الا وجه ابي الرهيب ينفث في وجهي همسك المسموم مرة اخرى ..

« قالت ذلك واخرجت مسدس ابي الذي كان في عهدتها من تحت وسادة على احد الكراسي ، وقدمته الي قائلة :

«ولست اذكر يا سيدي كل ما قلناه في تلك الساعة المشؤومة ولكنني اذكر تماماً انني عزمت على الطاعة امرها . فتناولت المسدس ووقفت ازاءها ، وقد ضمت يديها متضرعة وهي تقول:

« ــ اطلق النار علي ، اطلق ، ارجوك !

« واطلقت النار . وخرجت » .

يظهر ان جلال « بك » لم يكن ينتظر تلك النهاية الفجائية، فقد استغرب لها جداً وهز رأسه وقد اتسعت عيناه الكبيرتان

اكثر من ذي قبل :

«غريب،غريب.كلامك يا رجل غير معقول،غير معقول ابداً»

قلت : « هذه هي الحقيقة » .

فالتفت الى الجالس على يمينه وقال :

« اظن ان الولد فيه شيء من الجنون . على كل حال ، متى قلت انك قتلتها ؟ » .

ـ امس .

ـ غير معقول ابداً . فقد وجدت الفتاة مقتولة مساء امس الاول . مساء يوم الثلاثاء » .

فقلت : « تماماً . اي امس » .

وانعقد لساني دهشة حين قال :

« انك تهذي يا ولد . اليوم الخميس ، لا الاربعاء » .

وحينئذ عاودني الشعور بالاعياء الكلي الذي كنت قد نسيته، واصطكت ركبتاي وكدت أسقط على الارض فقال:

« خذوه الى الغرفة . وساراه غداً ثانية »

ولما خرجت بقيادة الشرطيين سالتهما :

« أحقاً اليوم الخميس ؟ اذن ـ اذن ـ ما الذي فعلته امس ؟ أين كنت امس ؟ »

***

وانقضت ايام وانا فريسة الشرطة ، يستجوبني هذا وذاك ، ولا اعرف الفرق بين الواحد والآخر ، وقد عزفت نفسي عن الحياة فما عدت اكترث لما يفعلون بي . ولكن اعجب ما في الامر هو انهم في النهاية افرجوا عني ...

رأيت اخي شفيق وحسين العالي واقفين في انتظاري،ثم قيل لي انهم قد اطلقوا سراحي . لان عائدة في الواقع قد انتحرت.

فغضبت لذلك وصحت بالشرطة الواقفين :

« هذا كذب وبهتان ! انني انا الذي قتلتها ! »

غير ان حسين وشفيق دفعاني الى الخارج في شيء من العنف حيث كانت سيارة في انتظاري . وفي بحر يومين كنا ثلاثتنا في ضهور الشوير في لبنان، حيث ارغمت على الاستجمام ارغاماً،لعلني اكذب نفسي بشأن مقتل عائدة المسكينة.

***

غير انني بقيت مشدوهاً حائراً لايام، وحسين يحاول اقناعي مرة بعد اخرى بانني بريء،وبانني انما ادعيت اقتراف تلك الجريمة إرضاء لكبريائي .اما انا فلم اقلع عن اعتقادي بجرمي ، ولكنني لم اكن استطيع الكلام كثيراً : بل كان كل شيء يبدو لي غريباً، كانني ارى وجوه الناس لاول مرة ، واسمع اصوات الانسانية فلا ادرك ما تنطوي عليها من معان . وكنت كلما اطلت النظر الى الوديان السحيقة المغمورة بالغمام،وهي تحيط بالفندق الذي اجلس في شرفته ، لا افهم الا صوتاً واحداً ، صوتاً لم ادر في بادىء الامر اهو صوتي انا ام صوت عائدة ام صوت الطبيعة نفسها يقول لي : انت قتلتها ، انت قتلتها ، انت ، انت ، انت .

ويا لسخف اخي وسخف حسين !

لقد كان المحقق جلال،رغم الحماقة البادية على شفتيه المتدليتين اشد فطنة منهما بكثير ، حين لطمني على وجهي واتهمني بالقتل . ما الفرق بين ان اكون انا الذي ضغطت على زناد المسدس وبين ان تكون عائدة هي التي ضغطت عليه ، ما دمت انا السبب، وانا الاصل ، وانا الدافع ؟

امـا حسين فراح يصب منطقه على رأسي ، وهو يرتب لي الحوادث التي جرت بعد ان خرجت من دار عائدة ـ الحوادث التي نسيتها ورفضت ان اتذكرها : فقال انني في يوم الجريمة ذهبت اليه في مطبعة الجريدة وكنت ـ ولعل ذلك صحيح ـ بادي الاضطراب ، اتكلم فلا يفهمني ، واردد كلمة القتل بحيث ثارت فيه الشكوك ، فاتصل تليفونياً بعائدة، واذا هي تجيبه فيطمئن عليها . ثم ذهبنا الى منزله واسرفنا في شرب العرق . ويظهر انني بعد ذلك خرجت وهمت على وجهي ، ومشيت على ضفة دجلة ساعات طويلة الى ان سقطت على وجهي إعياء... وقضيت يوماً كاملا في نوم عميق على ضفة النهر ، ولو ارتفعت المياه قليلا لغمرتني وحملتني الى حيث شاءت .

ولكن ذلك ! وليكن ما اخبروني به عن انتحار عائدة عائدة صحيحاً : ماذا يغير ذلك من النتيجة ؟ قالوا ان المحققين وجدوا رسالة من عائدة قرب سرير ابيها تعترف فيها بانتحارها وقالوا انهم فحصوني فوجدوني في قبضة ازمة عصبية ـ او بعبارة اوضح ، وجدوني على شفا الجنون . ولكن ما الذي يهمني انا من كل هذا ؟

لقد امسكت بيد عائدة المسكينة واقتدتها الى المياه العميقة ، وهناك اغرقتها وانا انظر اليها . وحاولت الغرق ايضاً ، ولكن المياه لفظتني ، وتركتني وحدي على اوحال الضفة النتنة ، اصغي الى ضجيج الناس ولا استطيع حتى البكاء .

بغداد   جبرا ابراهيم جبرا

عـزيف

☆

أسمعُ الريح زمزمت في القفارِ مثل نوح الطعين في الأسحارِ
زعقت واستطال منها صريرٌ يملأ الجو بالاسى المـوّار
سافيات الرمال نوحي وصيحي واركضي في الفضاء عبر الغبار
أنت تمضـين ثم يأتي نسيم يتناغى عليه لحن الهزار
أيهـا الكاره الرياض تمهـل إن فن الشميم للعطار
خُلِقَ الزهر للعطور فهذا قال ظلماً لاطيب للأزهار

***

من صميم الشآم غنّى حنون لاعب الفن في هوى المزمار
فأتاني النشيد والنيل يسحو سارب الدرب في الجنى المدرار
وعليه النخيل رفرفُ جنٍّ ثائراتُ الشعور وهي عواري
يا نبيل البعاد كفك برءٌ فوق جرحي وموضع الاكبار
أنا مثل العشب الرطيب تبسمت سلاماً لثـورة الاعصار
كان ودي اقوى من البغض فاكسر كل سيف واهدأ على قيثاري
رنّح الخمر معشراً شتموني ليس ذنـبي فالذنب للخمار
نبح الذئب في الظلام ودامت ساطعات على السماء الدراري

القاهرة زكي المحاسني

هؤلاء اعرفهم

فارس نمر

بقلم وديع فلسطين



في يوم عاصف مطير انتهت حياة فارس نمر ووسد الثرى والطبيعة في اوج غضبتها . وليس هذا موضوع عجب ، فقد كانت حياة فارس نمر كلها دوامة من العواصف والاعاصير ، اذ خاض عباب السياسة ثابت الجنان قوي الايمان لم يرهب شيئاً مما يرهبه الاحياء، حتى الموت صار يتعجله وهو يبطىء، يتمناه وينتظر في لهفة وفي غير جزع حتى وافاه في فجر اليوم السابع عشر من شهر دسمبر ١٩٥١ .

وسار فارس نمر في ركب الاولين مرفوع الهامة منتصب الرأس بعدما حنت الايام ظهره . يرقد اليوم الرقدة الخاشعة الاخيرة مطمئناً راضي الضمير ، فقد خدم الضاد وخدم العروبة وخدم مصر والشرق وأرسى للصحافة في الشرق نهضة تجني اليوم ثمارها اليانعات ورفع للعلم بنوداً في العالم العربي ما كان غير فارس نمر ليقوى على رفعها . فهو جبار في عقله جبار في ذهنه وعزمه . كان يؤمه مفكرو هذا الشرق جميعاً وسياسيو العرب جميعاً ورجال الرأي والعلماء واحفياء المجامع واصفياء الندوات فينفعهم بعلمه واختباراته وراشد عقله وبصيرته اليقظة . وقد خلد فارس نمر في التاريخ اسمه ، فما من كتاب عن مصر الا وفيه عن نمر صفحات مطولات حتى لقد دون عنه المرحوم الخديو عباس حلمي فصلا مسهباً في المذكرات التي نشرت اخيراً ، وروت عنه دوائر المعارف جوانب من حياته وتحدث عنه الكونت فيليب دي طرازي في مصنفات عن تاريخ الصحافة . بل تحدث عنه الحاخام حايم ويزمان في سيرة حياته التي صدرت اخيراً ، ونقل عنه جورج انطونيوس ذكريات من تاريخ النهضة القومية العربية وعسير عليك ان تجد كتاباً ذا شأن في تاريخ الشرق الا وفيه اشارات عن فارس نمر باكثر من بنان وابلغ ما يتسع له البيان.

واعجباً ! هل اختتمت « اسطورة » فارس نمر حقاً ؟ وهل ذهب عميدنا في الخالدين بعد حياة مد الله له فيها طولا وعرضاً، وبعد جهاد بدأ مع المهد ولم ينته الا في اللحد ؟

نعم ، لقد ذهب فارس نمر الذي كان لي اباً روحياً ، ودفن على رمية حجر من الموضع الذي دفنت فيه أبي منذ عشرين عاماً.

وقد كان فارس نمر اسطورة من الاساطير . انقذته امه من مذابح سنة الستين في بر الشام ، وفرت به الى القدس . اما ابوه فقد كان من ضحايا هاته الفتنة ، ولم يهتد احد الى مكانه ولا الى اشلاء منه . وذهب الطفل فارس نمر يتيم الاب فقيراً معدماً بعدما اخذت منهم املاك اسرته في حاصبيا . ودخل المدرسة ، وهي مدرسة للراهبات في دير صغير في القدس ، وهكذا بدأ فارس نمر كفاحه ، ليس الى جواره سوى ام فاضلة جليلة ، وليس في عزمه الا ان يكد ويجد حتى يشق لنفسه في الحياة طريقاً .

وقبل ان يبلغ العشرين، كان يسير في موكب الطلاب المنتهين في الكلية السورية الامريكانية « جامعة بيروت » الان فيتسلم درجة البكالوريوس في العلوم بتفوق . وقد كان الطالب فارس نمر حبيباً الى نفس استاذه الدكتور كرنيليوس فانديك الذي اخذ عنه الحكمة والمثابرة والامانة وسعة الافق والدأب والكفاح. وما انفك فارس نمر يحدث الناس بسيرة استاذه فانديك معترفاً له بفضل التوجيه والهداية .

وبدأ فارس نمر حياته استاذاً في جامعة بيروت ، يلقي على طلابه محاضرات في علم الطبيعة وعلم الفلك وعلم الهندسة الفراغية ولم يكن احد يومئذ يقوى على تدريس هاته العلوم بالعربية بسبب صعوبة ترجمة المصطلحات العلمية، ولكن الشاب فارس نمر اخذ على عاتقه مهمة الترجمة والتعريب ، وسرعان ما جرت على الالسنة الفاظه ، وصارت مألوفة لا نزال نتداولها حتى اليوم .

وقد كتب في تلك الفترة بعض كتب علمية ذات قيمة من حيث انها رادت آفاق العلم بعربية فصيحة مبينة ، ولكنها غير ذات

قيمة اليوم بسبب الكشوف العلمية الحديثة التي قلبت كثيراً من النظريات رأساً على عقب .

وفي المعهد، عرف فارس نمر صديقه واثيره يعقوب صروف وكان مثله شاباً دؤوباً محباً للعلم بحراً في المعارف ، فاجتمع النابغتان يتدبران امر الثقافة وكيف يمكن تنشيطها ، والفكر وكيف يستطاع إشاعته،والادب كيف يتسنى السمو به، والالفة بين المفكرين وكيف يجوز تعزيز عراها ، فاستقر رأيهما على اصدار نشرة صغيرة من « ملزمتين » اختار لها الدكتور فانديك اسم « المقتطف » وقال لهما « اجعلاها جديرة باسمها » .

واخذ فارس نمر ويعقوب صروف يصدران هذه النشرة سراً ، ويوزعانها سراً لا يكتبان عليها تاريخاً ولا يضعان لها رقماً خشية ان يثور عليهما السلطان المستبد للدولة العلية العثمانية . ولكن ما حذراه وقع ، فسرعان ما افتضح امر هذه النشرة ، وخشي السلطان التركي ان يتيقظ الشرق النائم ويطالب بحريته، وخاف ان تتبددغشاوات الجهل التي ترين على عيون ابناء الشرق فيثب وثبة تحرره من نطاق سلطنته ، فبعث برسله الى فارس نمر ويعقوب صروف ينذرهما ويحذرهما ويأمرهما بالكف عن اصدار « المقتطف » .

ولكن « المقتطف » كان قد ساير الشمس في دورانها ، فدرت باسمه الدوائر العلمية في كل مكان : في الهند والملايو والصين شرقاً ، وفي الولايات المتحدة وكندا واميركا اللاتينية غرباً ، وفي جميع الاقطار الناطقة بالضاد ، لانه كان مجلة تقدم للقارىء صفوة الفكر الاوربي في برشام ، وتطالعه في مستهل كل شهر بآخر ما تمخضت عنه ادمغة المفكرين في آفاق الفلسفة والعلم والادب والدين والزراعة والصناعة والطب والشعر وغيرها.

وظن فارس نمر ويعقوب صروف ان الشرق يضيق بهما ، وان منابر الرقعة الخاضعة للنفوذ العثماني ليست منابر حرة عالية يستطاع منها توجيه الرأي العام . فاستقر رأيهما على ان يسافرا الى الولايات المتحدة مع ركب المهاجرين المجاهدين حيث يستقران ويواصلان نشاطهما الادبي والفكري . وشد الرحال الى مصر توطئة لسفرهما الى نيويورك .

ولكن انباءهما كانت قد سبقتهما الى القاهرة، وعرف رياض باشا وزير المعارف ان العالمين الكبيرين فارس نمر ويعقوب صروف يحزمان الحقائب الى الدنيا الجديدة . فوجه اليهما دعوة لمقابلته في مكتبه وكان يحسب انه سيلقى ببابه شيخين جلل المشيب هامة الرأس عندهما ، ولكنه وجد شابين في مقتبل العمر ، فيهما كثير من الحياء، وكثير من تواضع العلماء ، فاستقبلهما بحفاوة بالغة وقال لهما إنه انتفع « بالمقتطف » في تحسين مزارعه واستخدام انواع ممتازة من السماد في إخصاب ارضه ، فاتت بثمر كثير ، وعرض عليهما ان يقيما في مصر وكفل لهما حرية تامة في إصدار «المقتطف»وفي استئناف نشاطهما العلمي الذي وقفاه في بيروت.

واستأنف فارس نمر ويعقوب صروف عملهما ، وانضم اليهما زميل ثالث هو شاهين مكاريوس ، واحدث الثلاثة ثورة في الفكر في العالم العربي بمجلة « المقتطف » التي تضخمت حجماً واكتظت دفوفها بالمواد الدسمة ، وصارت رسولا يغزو كل ركن من اركان الفكر في العالمين الشرقي والغربي .

ولما ترامت الى جامعة نيويورك انباء هذين الشابين المجاهدين دعتهما لزيارتها لتمنح كلا منهما درجة الدكتوراه الفخرية في العلوم اعترافاً بما اسدياه من خدمات للحركة العلمية في العالم . وكانت هذه هي المرة الاولى التي فيها يمنح شرقي درجة رفيعة كهذه من جامعة عريقة كجامعة نيويورك .

ومن صلب « المقتطف » ولد « المقطم » وهو الابن البكر الدكتور فارس نمر ، لان الصديقين صروف ونمر تقاسما العمل، فاستقل الدكتور صروف بشؤون المباحث العلمية في «المقتطف» واستقل الدكتور نمر بشؤون المباحث السياسية في « المقطم » وبدا فارس نمر معركة جديدة في حياته ، لان صراعه مع سلطان تركيا العثماني بدأ من جديد ، وصار سافراً غير محجب ، وصار السلطان لا يخاف شيئاً كما يخاف « المقطم » . وكم بعث السلطان رسلا الى فارس نمر يغرونه بالمال وبالرتب لكي يكف عن حملته على السلطان فلم يستطع احد ان يثني هذا النمر عن ضراوته.

وفي سبيل الحركات القومية الف الدكتور فارس نمر جمعية سرية تناوىء تركيا . ولا تزال حجرات دار « المقطم » تحتفظ بذكريات اعلام العرب والشرقيين الذين كان يجمعهم فارس نمر حوله يدبرون تدبيرهم ويضعون خططهم.ومن سخرية الاقدار ان الحكم بالاعدام صدر على فارس نمر ثلاث مرات في حياته ولكن فارس نمر رأى مصارع جلاديه واحداً واحداً . وبقي هو يغالب ايام الدهر حتى وافته منيته قبيل انتهاء العام الفائت .

وصار فارس نمر قوة مرهوبة لانه رجل صادق يحمل قلماً شريفاً ويدعو لمبادىء سامية.واصبح صديقاً حميماً للمرحوم الخديو عباس حلمي الذي ارسله الى السر ادوارد جراي وزير خارجية

بريطانيا ليكلمه في امر تنازل الخديو عن عرش مصر على ان يسند اليه عرش دولة شرقية اخرى كسوريا . ولكن هذا المسعى اخفق قبل ان يبدأ ، لان رصاصاً اطلق على الخديو في تركيا وقبل ان يبرأ تماماً كان قد عزل عن عرشه فعلا . وكان فارس نمر صديقاً للخديو توفيق وللسلطان حسين ، وللملك فؤاد وللامير محمد علي الذي كان ولياً لعهد مصر حتى ولد للفاروق نجله الامير احمد فؤاد . وكان مستشاراً غير رسمي ووسيطاً غير رسمي لانه كان رجلا معروفاً باستقامته واخلاصه كما كان محبوباً من الجميع موثوقاً به من الجميع .

وقد عرضت على فارس نمر رتبة الباشوية غير مرة ، ولكنه كان يعتذر من عدم قبولها مؤثراً ان يبقى « محرر جرائد » بعيداً عن زيف الرتب والالقاب . ولكن الأمير محمد علي تكفل باقناعه بان القصد من الباشوية تكريمه وتكريم الصحافة والعلم فقبل الرتبة شاكراً .

واختير الدكتور فارس نمر عضواً في مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، فكان برغم تقدمه في السن اوفر اعضاء المجمع نشاطاً وكان يرأس بعض جلساته باعتباره رئيس السن كما اختير عضواً في المجمع المصري للثقافة العلمية منذ انشائه قبل عشرين عاماً ، ثم عين رئيساً له ، وكان كذلك عضواً في مجلس الشيوخ المصري في فترة من الفترات .

ومما يجهله ابناء هذا الجيل ان فارس نمر هو الذي ذلل العقبات التي كانت تعترض سبيل تولي سعد زغلول باشا الوزارة للمرة الاولى . فلم يكن من المألوف ان يتولى واحد من « الفلاحين » المصريين منصب الوزير لان المناصب كانت حكراً على الترك . ولكن سعد خرج على هذا العرف بفضل فارس نمر .

ومما لم يسجله التاريخ انه عقب وفاة المغفور له السلطان حسين كامل في عام ١٩١٧ اتجهت النية عند البريطانيين ـ الذين كانوا آمرين ناهين في مصير مصر ـ الى استقدام امير هندي ليتولى حكم مصر ، وذكر فعلا إسم الاغا قان . ولكن فارس نمر ثار ثورة كان لها اكبر الفضل في اسناد عرش مصر الى السلطان فؤاد والد الملك فاروق .

وفارس نمر صاحب مدرسة في الصحافة تخرج فيها كثيرون من اعلام الفكر والادب .

فقد كانت صفحات « المقتطف » و « المقطم » ولا تزال ، تحوي مقالات وقصائد لأئمة المفكرين في الشرق . ومن يقلب الاعداد القديمة لهاتين الصحيفتين يقرأ فيها اسماء الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغاني واحمد لطفي السيد والدكتور علي ابراهيم وامين المعلوف وشبلي إشميل وخليل مطران وميخائيل نعيمه ومصطفى الشهابي وعباس محمود العقاد ومي واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وولي الدين يكن وخليل ثابت ونقولا الحداد وفؤاد صروف واسعد خليل داغر وفرح انطون ومحمد حسين هيكل وانستاس الكرملي وطه حسين وكريم ثابت وعشرات غيرهم من الذين حملوا مشعل العرفان ولا يزالون يحملونه .

وإن نأسى اليوم لشيء ، فلأن فارس نمر لم يدون مذكراته ولم يكتب التاريخ كما عرفه وكما ساهم في صنعه وكما شارك في تسجيله ولقد طالما ألححت عليه في ان يملي علي هاته المذكرات ، ولكنه كان يرفض في عناد وإصرار ، قائلا إن ما يعرفه من تاريخ مصر يختلف كثيراً عما يعرفه الناس من تاريخها ، وهو ـ وقد تقدمت به السن ـ يؤثر الدعة على ان يبدأ من جديد جهاداً لا يملك عدته بعدما مات اغلب شهود التاريخ ان لم يكن كلهم . وكان فارس نمر يقول إن كتب المؤرخين المعاصرين «لولبية» ظناً منه ان للهوى تأثيراً في كتابتها ، ولكنه مع ذلك ابى ان يسجل حرفاً واحداً قائلا : لقد سجلت التاريخ مرة في صفحات جريدتي ولست اريد ان اسجله مرة اخرى .

وقد كانت لفارس نمر ذاكرة عجيبة تعي كل شيء ، حتى لقد زرته في العام الفائت مع الصديق الاستاذ سلامة موسى ، وكان في فراشه مريضاً ، فاخذ يتحدث عن «حرب» السنين التي وقعت في بر الشام ، وقال لنا يومئذ انه لا يزال يذكر صورة ابيه ، ابيه الذي رآه في الرابعة من عمره ثم لم يبصره ثانية لانه راح ضحية هاته الحرب ، كما تقدم . اما الذكريات التي رسبت في قرارة ذهن فارس نمر ، فقد كان يعيش مستمتعاً بنشوتها . فاذا توسط مجلساً صار صاحب الحديث وسيد الموقف يروي مناوراته مع سلطان تركيا واحاديثه مع المسؤولين من المصريين والبريطانيين . فما من مصري عظيم وما من بريطاني دخل اسمه في التاريخ المصري الا كان فارس نمر من عارفيه والساعين اليه لانه كان صحفياً ينشد الانباء من مصادرها ، ولانه كان مستقيماً في معاملاته اميناً في مسلكه ، فاحبه جميع الذين عرفوه ووثقوا به وجعلوه كاتماً لاسرارهم .

ومن نعم الله علي ، وما اكثرها ، ان عرفت الدكتور فارس نمر ، وان صارت بيننا صداقة وثيقة ومودة اصيلة ستبقى ذكراها عطرة ما كان في قلب ينبض ودم يجري . فقد عرفت فيه صفوة من الخصال ليتها تشيع في الناس جميعاً .

عرفت فيه نزعة جدية في مجابهة الحياة ، فقد كان جاداً منذ حداثته ، وصار جاداً حتى يوم وفاته . لم يعرف الهزل ولا المزاح ، ولم يتردد على حلبات اللعب واللهو . كان يقضي ايامه في عمل ، وكان لا يقعده الا المرض الشديد الوطأة . وقد ظل يباشر عمله حتى الاسبوع الاخير من حياته . وكانت آخر زيارة له ، هي زيارة الوداع ، اذ كان يتوسد فراشه ، يفتح عينيه ولا يكاد يرى الا اشباحاً ، ويصيخ السمع فلا يصغي الا الى الفاظ متناثرة يوحد بينها في ذهنه ويجيب عنها اجابة الواعي المالك لحواسه جميعاً . واخذ الدكتور نمر ـ وهو يعلم انه مشرف على باب الابدية يلقنني دروساً في الاخلاق ودروساً في السياسة ، ينصحني بالامانة في سلوك دروب الحياة ، ويطلب مني ان اتحرى الحقيقة من جميع وجوهها ويرجوني الا ابرح فراشه قبل ان اعده بحفظ وصاياه .

وعرفت في فارس نمر تواضعاً محموداً ، فكان حتى اوائل العام المنقضي يصعد الدرج بقدميه الواهنتين الى حيث مكتبي ، فاذا جلس الى جواري اخذ يعتذر لانه يعطل عملي ، وحين اعاتبه على ارتقائه الدرج وهو يشرف على حدود المئة عام ، يقول: رأيت الا ازعجك باستدعائك فسعيت اليك . وقد كان فارس نمر يسعى الى الناس ولا ينتظر منهم ان يسعوا اليه . وعندما اشتدت عليه وطأة العلة اخيراً ، كتم هذا النبأ عن الناس جميعاً ومنع نشره حتى لا يزعجهم بزيارته ويقلقهم بمرضه . فمات بغير ان يودع كثيرين من اصدقائه .

وعرفت في فارس نمر حباً للعلم وتقديراً للفكر والقلم . فلم يكن

الا منصفاً في تقديره للناس جميعاً. يعتز بوجه خاص بصداقة العلماء والادباء والمفكرين. وليس في الشرق كله اديب او عالم او مرب لم يعرفه فارس نمر اما معرفة شخصية وإما معرفة عن طريق القراءة . فقد اراد فارس نمر ان يعيش ايام عمره كلها ولم يتخل عن القراءة الا بعدما لزم فراشه في الاسبوع الاخير، وكان يستعين بمن يقرأ له ما في الصحف .

وعرفت في فارس نمر صلابة في الرأي اذا استيقن ان الحق في جانبه . فقد كان عنيداً صلب الرأي لا يثني عن امر ارتآه صواباً . اذا قال فعل. واذا وعد انجز. وقد وقف وحده يناوىء سلطاناً فلم يقو السلطان على كسر شوكته . وحاول الوسطاء ان يسعوا بالخير بينه وبين السلطان فابى وقال انه لا يضع يده في يد هذا المستبد .

وعرفت في فارس نمر احتقاراً للحياة . وعرفت منه ان من ازدرى الحياة تشبثت به وان من سخر من الجاه اتاه يسعى. وقد كان فارس نمر بسيطاً في ملبسه وفي مأكله وفي حياته اليومية . وكان لا يبالي هل اقبلت الدنيا او ادبرت ، وكان ينكر ثراءه لا عن جحود بنعمة الله ، بل عن انفة من ان يقيس الناس قدره بثرائه

وعرفت في فارس نمر قدرة على التوفيق بين الدين والدنيا فقد تفقه في العلم ودرس النظريات ما كتبه منها داروين واينشتين وغيرهما من العلماء الذين تحدوا الدين ، ولكنه كان اصيلا في إيمانه يتحدث عن الحياة الاخرى ويؤمن بها ويعتصم بحبل الله ولا يتخلى عنه .

عرفت كل هذا واكثر منه في فارس نمر الذي كان لي اباً وصديقاً واستاذاً .

ومما يحز في نفسي اني كنت آخر من تحدث مع الدكتور فارس نمر قبل ان تأخذه غيبوبة الموت . فقد دعاني لرؤيته ومكثت معه قرابة نصف ساعة جرى الحديث بيننا فيها سريعاً خاطفاً فقد كانت كلماته ونصائحه هي آخر ما فاه به . ولما هممت بالانصراف شد على يدي واجهش بالبكاء ، وقال : اني ماض ولن اراك ثانية . فقلت له : بل سازورك وساجدك على خير ما يرام . ولكنه كان ساعتئذ يقدم رجلا الى لحده ويجر الثانية اليه متثاقلاً . وبعد غيبوبة احتوته يومين ، طلق الدنيا في غير أسى .

واليوم اذ تنفض اليدين من فارس نمر ، فانما تنفضها من جيل من الرجال ولى كان هو آخر حبة في عقده ، وجيل من الاخلاق دفناه بين آي الحزن والحسرة . وإنا لنعجب كيف اتسعت خشبة صغيرة لهذا النمر المصور الذي لم تتسع له رقعة الشرق . وانا لنعجب كيف انطوت هاته الحياة التي شارفت مئة حول، وقد كانت حياة مليئة ليست بها ثغرات سوى ثغرات المرض .

واذا كان فارس نمر قد ذهب ، فان المشعل الذي رفعه لا يزال مرفوعاً . وقد كنا نود ان نرى فارس نمر يتقدم الصفوف في هذا العام — عام ١٩٥٢ — ليشهد حفلا يقام بمناسبة اليوبيل الماسي لمجلته الحبيبة « المقتطف » التي سلخت من العمر خمسة وسبعين عاماً كاملة . ولكن المنية كانت معه على موعد ، فحرمته لذة ساعة يتوج فيها جهده الادبي وجهاده العلمي ، بمشهد من ملأ غفير .

القاهرة — وديع فلسطين

قصة

كلوديت

بقلم نجاتي صدقي



يلذ لسعيد وهو في باريس ان يتنزه عصر كل يوم على الرصيف المحاذي لنهر السين بالقرب من نوتردام دي باري، وكانت رفوف الكتب القديمة المعروضة للبيع على حائط النهر الجنوبي تجذبه اليها، وتأخذه بروائعها التاريخية والاثرية والفنية.

ووقف مرة عند احد تلك الرفوف يقرأ عناوين كتبها، وكان غواة الكتب القديمة، والرسوم التاريخية يقفون الى جانبه ايضاً. يتصفحون المجلدات ويمعنون النظر في الصور الهزلية والفنية، فان راق لهم شيء ابتاعوه والا انتقلوا الى رفوف اخرى يبحثون وينقبون.

وبينما كان سعيد مستغرقاً فيما هو به، اذا بمجموعة من الكتب تنهار الى جانبه وتتبعثر، ويعقبها صوت نسائي يتمتم متأسفاً، فالتفت الى يسراه. فوجد فتاة فرنسية ترفع الكتب عن الارض وتعيدها الى مكانها، وكان الواجب يدعوه الى مساعدتها، فراح يجمع ما بعثرته، وكانت هي تشكره مبتسمة، وكان هو يجيبها مبتسماً بان لا شيء يستحق الذكر.

وبعد ان اعاد الكتب الى مكانها، لمح الشاب ان الفتاة ابقت بيدها كتاباً قرأ على غلافه العقد الاجتماعي لجان جاك روسو. فقال لها بلهجة لا تخلو من الاستغراب: عفواً ايتها الآنسة اهذا هو الكتاب الذي كنت عنه تبحثين ؟.. قالت: اجل.

قال: اتهمك مثل هذه المواضيع ؟ قالت: تهمني جداً.

قال: ولكن الموضوع شائك، ويخيل الي ان الفتيات لا جلد لهن على مطالعة الكتب المرهقة للدماغ.

قالت: هذا خطأ شائع.. نحن في فرنسا نطالع كل شيء، نطالع كل ما يطالعه الرجل.. ونفعل كل ما يفعله، ولا تنقصنا الا حرية الانتخابات.

واذ رأى سعيد ان الفتاة مثالية جريئة متوثبة انتظر حتى ابتاعت الكتاب وهمت بالذهاب فاقترب منها وقال بصوت خافت: ألدى الآنسة اي مانع للتعرف الى شاب شرقي ؟

فاطرقت الفتاة قليلاً، ثم رفعت رأسها وحملقت في وجهه وقالت: اذا كان هذا التعارف يرضيك، فليكن.. اسمي كلوديت رانغوان، تلميذة في المدرسة الطبية.

قال: ولي الشرف بان اقدم لك نفسي: انا سعيد اللبان.. من الشرق.. واقطن باريس موقتاً.

وسارا معاً بمحاذاة نهر السين الى ان عبرا الجسر المؤدي الى اللوفر ومنه الى حديقة التويلري، فتجولا في دروبها بين الازهار والرياحين وكانا يتنقلان في حديثهما من موضوع الى آخر، الى ان قالت الفتاة في معرض كلامها عن جان جاك روسو ونظرياته التي اودعها في «العقد الاجتماعي»: اجل، يجب ان نعود الى امنا الطبيعة الا تكفي خيرات الارض لاعاشة الناس ؟.. وما الافضل للمرء: أن يعيش في جو خانق من دخان المصانع والمعامل، ام ان يشيد بيته في الغابات الواسعة، ويستنشق الهواء الطلق، ويشرب المياه العذبة، وينام وينهض على تغريد الطيور

قال: اتعنين بذلك اقامة مخيمات ؟.

قالت: كلا اني اعني اعادة تنظيم معيشة الناس طبقاً لحياتهم الفطرية الاولى، ولكن على مستوى عال من العلم والثقافة.. ثم اخذت تقنعه بان الانسان جبل من طينة طيبة، غير انه في مراحل تطوره خرج عن اتجاهه الطبيعي واساء التصرف بما منحته اياه الطبيعة من خيرات وغدا مخلوقاً شاذاً انانياً جائراً، وخلصت الى القول بان البشرية لن تجد الراحة والطمأنينة الا بوضع عقد اجتماعي يكفل للناس حقوقهم.

اخذ المساء يسدل ستاره على باريس وبدأت العاصمة الفرنسية تبدو رويداً بلباس السهرة المحلى بالالوان الزاهية، وكانت الارض تلفظ جماعات من الناس عائدين الى بيوتهم، وتبتلع غيرهم ممن يسكنون الضواحي.. ولما بلغا من مسيرهما محطة مترو «الاوبرا» قالت له كلوديت: الى هنا ينتهي بنا المطاف.. استودعك الله.

قال: عفواً.. لقد شوقتني بحديثك عن حياة الغابات، افلا تعرفين غابة بالقرب من باريس تكون بمثابة نموذج صغير للمكان الطبيعي الذي تودين المعيشة فيه ؟..

قهقهت كلوديت وقالت: اعرف غابة كلامار.

قال: هل لنا ان نتنزه فيها يوم الاحد ؟.

فهبطت الفتاة درج المترو وقالت: انتظرني يوم الاحد الساعة العاشرة صباحاً عند مدخل محطة «مونبارناس» ومنها سنذهب الى كلامار فالى اللقاء

اي شعور غريب يستولي على المرء اذا ما ولج الغابة ؟..

طرق سعيد وكلوديت غابة كلامار فكانت الاشجار الباسقة تحجب عنهما نور الشمس ، ما خلا خيوط لها الوان قوس قزح تسربت من خلال الاغصان، واثارت الدغل التي سقطت عليها، وساعدتهما على اجتياز دروب الغابة المعوجة وشعاب مسالكها الضيقة ..

وكانت الغربان تنعق هنا وهناك ، وهدير المياه يصل الى مسامعهما، فيحمل لهما الهواء في طياته رذاذها المنعش ، وكان حفيف الشجر يبدو لهما كما لو ان رتلا من السيدات يسرن بالقرب منهما وهن يجررن اذيال اثوابهن .. ما هذا الجو الساحر الذي يكتنف سعيداً ؟ وما هو هذا الدغل الرائع الذي سلبه عقله ؟..

وبعد ان استراحا قليلا على الحشائش الابدية الاخضرار ، بادرت كلوديت سعيداً قائلة : كيف تشعر الان ؟ الا تفضل المقام في هذا المكان على اي نزل في الحي الثامن من احياء باريس ؟.

لم يحر الفتى جواباً وانما استغرق في تأملاته ، وكان يحس بوجل لا يدري سببه ، فالاشجار المحيطة به ، واحتجاب النور عنه الا ثلاثة خيوط ملونة اخترقت الدغل الذي هو فيه ، ونعيق الغربان فوق رأسه ، ورطوبة المكان الذي يحف به ، وحفيف الاغصان الذي يهدهد مسمعيه ، كان لهذه العوامل كلها اثرها في نفسه ، فتذكر الجنة ، وتذكر آدم وحواء ، فالتفت الى كلوديت فوجدها قد اسندت رأسها الى الشجرة وعلى ثغرها ابتسامة الرضى.

انقضى النهار ، وحل المساء ، فاقفرت الغابة من المتنزهين ، وركنت الطيور الى اوكارها ، وارخى الليل سدوله ، فلم ير الفتى والفتاة من النور الا ما كان يشع من اعينهما ، ولم يسمعا من الاصوات الا ما كانا يصدرانه من نفثات ، ولم يجدا شيئاً يدرءان به عن نفسيهما برد الليل الا ما كان يجري في عروقهما من دم متدفق مشبع بحرارة الشباب .

ثم عادا الى باريس ، وقد تأبط سعيد ذراع كلوديث . واسندت رأسها الى رأسه ، وكانت تحدثه عن الحب الخالد ، وارتباط القلوب الازلي، وكان هو يؤكد لها ذلك ايضاً، ويشكر المصادفات التي ادت الى تعارفهما والجمع بينهما .

ولما اخذا مكانهما في القطار ، قال لها الفتى على حين غرة : لقد نسيت منهجك في الغابة ! ..

قالت : واي منهج تعني ؟ قال : كتاب العقد الاجتماعي .

قالت : شيء تافه .. واني لارى يا حبيبي الآن ان اقر لك بحقيقة الامر .. انني لست من اتباع روسو ولا غيره ، رأيتك تقف عند الكتب القديمة فرأيت في ملامح وجهك بانك من اهل الشرق الذين تكتنف نفوسهم الغموض والاسرار، فهذا الشعر الاسود ، وهاتان العينان البراقتان ، وهذان الحاجبان المقطبان، وهذا الانف القوقاسي ، وهذه الذقن المعوجة ، وهاتان الشفتان المنفرجتان ، وهاتان الوجنتان البارزتان .. كل هذا ما حدا بي لكي اتحرش بك .. اما كتاب روسو فقد وقع في يدي مصادفة وكان من حسن حظي انني عرفت عنه شيئاً .. والان دعنا من هذه القصة فانك لي افضل من كل هذه العقائد. انت لي الى الابد . إنس هذا الحادث .. لقد نسيت انا اهلي من اجل الحب !..

وبلغا باريس وافترقا على ان تزور كلوديت سعيداً في فندقه في مساء اليوم التالي .

لم يدر سعيد ما الذي حدث له في تلك الليلة، فقد كان قلقاً، وكانت نفسه مضطربة ، وكان في حيرة من عبث هذه الفتاة الباريسية بالمبادىء والعقائد . وما ان طلع النهار حتى رحل من الفندق الى غيره .. وقال لصاحبه : قل لمن يسأل عني بانني عدت الى الشرق .

وبعد مرور شهر على هذا الحادث ، مر سعيد برفوف الكتب القائمة على ضفة السين بالقرب من جسر سانت ميشيل فشاهد منظراً مروعاً .. شاهد شاباً شرقياً يساعد كلوديت في جمع كتب تناثرت على الارض !..

نجاتي صدقي

لنحترق

الى الآنسة نازك الملائكة

☆

لأنور الجندي

•

طرطوس - سوريا

☆

لنحترق الان،حان الرجوع، الى الارض قبل الغروب
وما دمت اشعر ، ان الحياة ظلام يخيم فوق الدروب
غداً تستفيق جفون الصباح ، وقلبي وانت تراتيلها
وتنتفض الآه والتمتمات ، وتسخر منا تهاويلها
وفي مقلتيك
وفي شفتيك
حنين يهدهد روح الغريب
فتهمي عليك تهاليلها

***

لنحترق الآن ، فالذكريات ، تهوّم حول اغاريدنا
وما دمت ، تيستعذبين الحياة ، وتهوين عطر اناشيدنا
وفي كل جارحة دمعتان ، تسيلان حزنا على الموعد
تنهّد ، فالكون حلم يروح، ويغدو مع البرعم الارغد
ودنيا تطلّ
ونعمى تهل
ونحن الينابيع في بيدنا
تحدث عن يومنا المُسعد

***

لنحترق الان ، حسبي وحسبك من عالم جاحد ماكر
تشدق بالنور ، وهو الظلام، يلوح على شدقه الساخر
ايكذب،والجرح غور عميق ومسراه في القلب لا يستتر
ايكذب ، والدم ملء الحياة ، يكاد يلملم وجه القمر
وينكأ جرحا
ويغمر صبحا
جلته المقادير للشاعر
وها هو يلهث بين الحفر

***

لنحترق الان ، هذا اللقاء ، يلوح للقائه المتعب
وهذي عيون الورود الرطاب،تنام على حلمها المذهب
وفيم التفرق ،هل في الحياة ، نعيم وقلبك نهب الالم
تناءب في الليل ، ما يستفيق ، كأن على مقلتيه العدم
وتلك الهموم
وراء التخوم
تولول في كهفها المجدب
وتحلم بالنور بعد الظلم

***

لنحترق الان، هذي السفوح، خمائل للشعر والشاعرة
وما العمر الا لقاء يطول، وهينمة حلوة فاترة
لنحترق الان ، لا تسائليّ ، فالكاس تنهل من خمرنا
وهذي تلال الشباب الندي،تراقص في اللحن من شعرنا
سقاها الشعاع
هوى والتياع
ولاح على المقلة الساهرة
خلود تدندن فيه المنى

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم



الباب الثاني : آلهة العرب

الفصل الأول : صنم . وثن . نصب

كل ما اتخذ من دون الله الهاً فهو صنم . تعريف عام نأخذه من كتب التفسير والمعاجم وغيرها . وقد ندر ذكر هذه الكلمة في الشعر الجاهلي ، ويصعب التحقيق في اسباب ذلك لما نقرأه من تعظيم العرب للأصنام ، وانتشارها بين القبائل . روي عن الحسن قال : لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه(١) . وعلى الرغم من ذلك نرى البعض يعزو ندورة ذكرها الى ترفع العرب عن ذلك ، فالصنم عند هذا البعض لا يدل على معنى محترم في نظر الاعراب(٢) . فاذا صح هذا القول فانه ينطبق على ما ورد في القليل النادر من اشعارهم ، وقد قيل هذا النادر في ظروف تحكي الظروف التي ادت الى نكول بعضهم عن عباداتها كما ورد معنا في الباب السابق . اما في غيرها فلا يذكر اسم «الطاغية» او «الربة» مثلا ، الا بالتبجيل والتعظيم والرهبة في كثير من الاحيان .

ولا ترد كلمة «صنم» في القرآن الكريم الا على صيغة الجمع في خمس آيات : واحدة في الحديث عن قوم موسى حينما اتوا على قوم يعكفون على اصنام . والاربع الاخر في الاحاديث عن ابراهيم وابيه وقومه(٣) .

اما الصنم فيقول ابن الكلبي : ما كان معمولا من خشب او

(١) لسان العرب لابن منظور «مصر ١٣٠٠-١٣٠٧» ص ٢٤١ ج ١٥

(٢) ص ١٤٧ ج ٤ Enc. of Islam .

(٣) القرآن الكريم : راجع سورة الأعراف ، آية ١٣٤ وسورة الأنعام ، آية ٧٤ وسورة الشعراء ، آية ٧١ وسورة ابراهيم ، آية ٣٨ وسورة الانبياء ، آية ٥٨

ذهب او فضة على صورة انسان(١) . وقيل ما اتخذوه من آلهة ، فاذا كان له صورة فهو صنم(٢) . وقال بعضهم : اذا كان ما يعبدونه حجراً على غير صورة فهو نصب ، وان كان تمثالا سمي صنماً ووثناً(٣) .

والكلمة ، كما وردت في المعاجم العربية ، يقال انها معرب «شمن» ولا يدري صاحب التاج عن اي لسان(٤) . على ان بعض علماء اللغة من الاوروبيين يرجع كلمة «شنم» — الكلمة التي عربت عنها كلمة صنم العربية — الى Selem بمعنى صورة في العبرية و S-l-m اسم اله ورد ذكره في نقوش آرامية بتيماء (٥) .

وكثيراً ما خلطوا بين تعريف الوثن والصنم ، وان قيل ان الوثن هو الصنم الصغير . وفي التاج سمي وثناً لانتصابه وثباته على حالة واحدة ، من وثن بالمكان ، اقام به فهو واثن(٦) . وذكر ان الوثن ما لا صورة له(٧) . وقال ابن الاثير : الفرق بين الوثن والصنم ان الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الارض او من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد ، والصنم الصورة بلا جثة(٨) . وفي كتاب الاصنام ان الفرق بين الصنم والوثن هو ان الاول مصنوع من خشب او معدن ، والثاني من حجارة ، وكلاهما على صورة انسان(٩) . وقال السهيلي : يقال لكل صنم من حجر او غيره صنم ، ولا يقال وثن الا لما كان من

(١) كتاب الأصنام للكلبي « الطبعة الثانية - دار الكتب - مصر ١٩٢٤ » ص ٥٣ (٢) لسان العرب ص ٢٤١ ج ١٥

(٣) اديان العرب في الجاهلية لمحمد نعمان الجارم ، مصر ١٩٢٣ ص ١٣٢

(٤) تاج العروس للزبيدي مصر ١٣٠٦ ص ٣٧١ ج ٨

(٥) ص ١٤٧ ج ٤ Enc. of Islam (٦) ص ٣٥٨ ج ٩ تاج العروس

(٧) ص ٣٧١ ج ٨ نفس المصدر (٨) ص ٣٣٣ ج ١٧ لسان العرب

(٩) ص ٥٣ كتاب الأصنام

غير الصخر كالنحاس وغيره(١) . وهذا يخالف ما يرى «نلدكه» من ان الوثن لا تعني شيئاً سوى حجر (٢) . وبهذا يوافق الزبيدي في قوله ان الوثن ما لا صورة له كما ذكرنا . ويستخلص «كرنكو» جملة من امثال هذه الاقوال المتضاربة فيقول ان الصنم شيء يعبد دون الله ، له شكل ، مصنوع من حجر او خشب او معدن ، ويميز عن الوثن بان هذا ليس له جثة وانما يذكر مرادفاً لما عليه رسم او صورة(٣) .

وكصنم لم ترد وثن في القرآن الكريم الا على صيغة الجمع كقوله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الاوثان » ، « انما تعبدون من دون الله اوثاناً » ، « وقال انما اتخذتم من دون الله اوثاناً »(٤) . ولم يرد لها ذكر في غير هذه الايات الثلاث . والظاهر ان معناها في هذه الآيات هو نفس المعنى الذي تعطينا اياه كلمة الاصنام في الآيات الاخرى .

اما الانصاب فحجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله ، والنصب او النصب كل ما نصب فعبد من دون الله ، وقد ورد في بيت للاعشى :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعافية والله ربك فاعبدا

وقال الفراء : كأن النصب الآلهة التي كانت تعبد من احجار (٥) وفي كتاب الاصنام ومن لم يقدر على صنم ، ولا على بناء بيت ، نصب حجراً امام الحرم ، او امام غيره مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الانصاب(٦) وقال : «وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون بها ويقرون عندها يسمونها الانصاب»(٧) . وقال : فكان الرجل ، اذا سافر فنزل منزلا ، اخذ اربعة احجار ، فنظر الى احسنها فاتخذه رباً ، وجعل ثلاث اثافي لقدره ، واذا ارتحل تركه ، فاذا نزل منزلا آخر ، فعل مثل ذلك(٨) . هذه هي الانصاب، فاذا كانت تماثيل دعوها الاصنام والاوثان(٩) ولعل اقوال ابن الكلبي اوضح ما ذكر الاقدمون عن الانصاب والاصنام والاوثان .

ولقد جاء ذكر الانصاب في الآية : « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الخ »(١٠) وفي قوله تعالى : « حرمت عليكم

(١) ص ١٣٢ اديان العرب في الجاهلية
(٢) ص ٦٦٦ جـ ١ Enc. of Religion and Ethics
(٣) ص ١٤٧ جـ ٤ نفس المصدر (٤) القرآن الكريم س ٣٢ آية ٣١ ، س ٢٩ آية ١٦ ، س ٢٩ آية ٢٤
(٥) ص ٢٥٥ - ٢٥٧ جـ ٢ لسان العرب (٦ و٧ و٨ و٩) ص ٣٣ ، ٤٢ كتاب الأصنام (١٠) القرآن الكريم س ٥ آية ٩٢

الميتة والدم ... والآية(١) » وفي غيرها(٢) .

وكان للعرب بيوت مقدسة يطوفون بها سنأتي على ذكرها فيما بعد ، والبيت عموماً ما يبات فيه . وتعرف الكعبة(٣) بالبيت الحرام ، والبيت العتيق ، والبيت المعمور . والكعبة في اللغة الغرفة ، او البيت المربع . وقيل البيت المرتفع ومنه كعب ثدي الجارية اذا علا في صدرها وارتفع . وقيل سميت كعبة لانها مكعبة على خلق الكعب ، جمعها كعبات . وكان هذا بيتاً لربيعة ذكره الاسود بن جعفر قال :

اهل الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سنداد(٤)

وسنرجع الى الكلام عن الكعبة في باب اساطير الاولين .

الفصل الثاني

كثرة الآلهة

لا شك في كثرة اصنام العرب وانصابهم التي انتشرت بينهم في عصور الجاهلية ، غير انه من الصعب جداً حصر عدد الآلهة الحجرية ومقدار ذيوعها بين مختلف القبائل فالاخبار الواردة لا ترسم لنا خطة معينة عن كثرة الآلهة : عددهم وتوزيعهم . فالجارم يقول : « وقد كان للقبيلة اكثر من صنم ، وكان منها عند الكعبة كثير »ويقول ايضاً : «ليس في الاستطاعة حصر اصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد(٥) »وهو يعتمد في كلامه على ما سبقه من كتب السير والادب والتفاسير ، فهو في الكتاب جميعه عبارة عن مردد اصداء لا يختلف في النقل والانشاء عن الآلوسي في « احوال العرب » وان كانت فوائد الجمع والحصر في الكتابين ظاهرة بينة .

اما الاب شيخو فلا يرى هذه الكثرة مطلقاً ، فهو يقول في كتابه : النصرانية وآدابها بين العرب في الجاهلية : واذا اضفت الى الاصنام المذكورة في اليعقوبي اسماء آلهة اخرى ورد ذكرها في المعاجم والتواريخ والشروح بلغ بك العد الى نحو ثلاثين صنما . فأين هذا وما زعم ابن اسحاق وابن هشام ان في الكعبة كان عدد الاصنام - ٣٦٠ - على عدد ايام السنة(٦) .

ولا يقيد المستشرق نلدكه نفسه بحصر اصنام العرب الجاهليين

(١) القرآن الكريم س ٥ آية ٥ (٢) القرآن الكريم س ٧٠ آية ٤٣
(٣) وردت هذه الكلمة في آيتين فقط : س ٥ آية ٩٦ ، س ٥ آية ٩٨
(٤) راجع معجم البلدان لياقوت - ليبزك ١٨٦٦ ص ٢٧٨ ، ٢٨١ جـ ٤
(٥) اديان العرب في الجاهلية ص ١٥٥ (٦) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو اليسوعي - القسم الأول بيروت ١٩١٢ ص ٦

غير انه يعترف بان قائمة طويلة يمكن اعدادها لهذه المؤلهات(١) وكذلك الاب لامنس يقول: «ولم يكن هذا العدد بالقليل(٢)» ويقول أيضاً: «ظلت الحجارة العديدة مدة طويلة تحتل فناء الكعبة اي الساحة المحيطة بها، على انها لم تبلغ ذاك العدد الكبير الذي ترقى به الاسطورة الى ٣٦٠ يحطمها النبي يوم الفتح(٣)» واما زيدان فيقول: «ولو جمعت اصنام العرب لزاد عددها على مئة صنم(٤)».

ويجب على الباحث في مثل هذا الموضوع ان يفرق بين نوعين من الاحجار المؤلهة: الاول بدوي والثاني حضري، كما كان عبادها في الجاهلية بدواً وحضراً. ثم بين آلهة القبائل وآلهة المنازل.

يقول ابن الكلبي: «فكان الرجل اذا سافر فنزل منزلا اخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها فاتخذه رباً، وجعل ثلاث اثافي لقدره، واذا ارتحل تركه. فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك(٥)» ويقول غيره: «كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادي: يا اهل الرحال ان ربكم قد هلك فالتمسوا رباً، قال: فخرجنا كل صعب وذلول فبينا نحن كذلك نطلبه اذا نحن بمناد ينادي: انا قد وجدنا ربكم او شبهه، واذا حجر فنحرنا عليه الجزور(٦)» وعن ابي رجاء العطاردي قال: «كنا في

(١) ص٦٥٩ ج١ Enc. of Rel. and Eth

(٢) مجلة المشرق ١٩٣٧ ص ٢٢٣

(٣) ٢٢١ نفس المصدر

(٤) انساب العرب القدماء لزيدان مطبعة الهلال - مصر ١٩٢١ ص ٣٩

(٥) ص ٣٣ كتاب الاصنام

(٦) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب لمحمود شكري الآلوسي الطبعة الثانية مصر ١٩٢٤ ص ٢١١ ج ٢

الجاهلية اذا لم نجد حجراً جمعنا حثيثة من التراب، وجئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا بها(١)».

ونحن نخشى ان تكون هذه الروايات وامثالها سبباً في اعتقاد الكثيرين تضخم العدد الذي ارتقت اليه آلهة العرب... وهنالك روايات تفيد انه «كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه. فاذا اراد احدهم السفر كان آخر ما يصنعه في منزله ان يتمسح به، واذا قدم من سفره كان اول ما يصنع اذا دخل منزله ان

(١) البداية والنهاية لابن كثير مصر ١٣٤٨ ص ٢٨٨ ج ٢

يتمسح به ايضاً(١)». ويفهم من ابن هشام ان الاشراف كانوا يتخذون في دورهم اصناماً آلهة يعظمونها ويطهرونها(٢).

وفي مثل هذه الروايات ايضاً سبب آخر يدعو خطأ الى الاعتقاد بكثرة الآلهة فهل من الضروري ان يكون عند كل شريف، لا بل في كل منزل صنم معبود يخالف في كنهه ومميزاته صنم الشريف الآخر او الجيران الاخرين؟ الا يجوز ان يكون للحي او للقبيلة إله - كالعزى او هبل مثلا، يعبد وتجري له طقوسه العامة

(١) ص ٣٣ كتاب الاصنام

(٢) السيرة لمحمد بن اسحاق رواية ابن هشام جوتنجن ١٨٦٠ ص ٣٠٣

ثم تكون هنالك اشكال ورموز عند هذا وذاك من الافراد والمنازل ؟

ولا يرى الاب لامنس وجوداً للالهة المنزلية كما يفهمها و«هوزن» في كتابه « بقايا الوثنية العربية » Reste Arabischen Heidentums الا في الاساطير المعروفة في السيرة وغيرها ، وهي عنده اخبار تكتنف صحتها بكثير من الشك ، لا بل يميل الى نفي هذا النوع من الآلهة نفياً باتاً . فهنا نقرأ له : « اما الحقيقة فهي ان الاشراف كان من حقهم لا امتلاك الآلهة المنزلية بل المحافظة على البيت او الحجر المؤله . وهم يحرسونه لا في المنزل او المضرب بل في القبة الخاصة بل وهي قبة القبيلة. وكانت هذه القبة تضرب الى جانب خيمة السيد(١) ...»ثم يقول: « ونتيجة اخرى لهذا الامر انه ليس في القبيلة المجتمعة من اصل واحد الا بيت واحد او قبة واحدة ، واذاً فمن الاعتباط ان نتكلم عن الآلهة المنزلية او عن العبادة الفردية . فان عربي الجاهلية لم يعرف الا العبادة الشاملة ، تلك الشعائر التي تقوم بها القبيلة بكاملها في ظروف خاصة ومظاهر قليلة ، كانت كافية لاستنفاد جلده التقوي . وكان اذا خاف تأثيراً سيئاً من بعض القوات اللابشرية لجأ الى التمائم ، وهي افضل وانجع في نظره من وجود تماثيل الالهة في خبائه او داره(٢) » .

ذلك رأي لامنس ، على انه ، بناء على ما ذكرنا سابقاً ، لا يسعنا ان نأخذ به على علاته ، وننفي وجود « الآلهة المنزلية » نفياً باتاً لمجرد القول ان العربي كان قليل الجلد التقوي ، ولمجرد الظن بان روايات السيرة عند هذه الآلهة مشكوك فيها .

ولعل الاصنام الكثيرة التي يحدثون انما كانت مجرد تماثيل يلهو بها البدو والحضر اكثر من كونها رموزاً لآلهة معينة .روى الازرقي لبعضهم قوله : « وقد كنت ارى قبل ذلك الاصنام يطاف بها فيشتريها اهل البدو فيخرجون بها الى بيوتهم(٣) » وفي المصدر نفسه نقرأ :« وكان ابو تجارة يعملها في الجاهلية ويبيعها . ولم يكن في قريش رجل بمكة الا وفي بيته صنم(٤) » . فان دلت هذه الاقوال وغيرها على كثرة هذه الاصنام او التماثيل ، فلا تدل على اختلاف وتنوع كثير في الآلهة التي يرمزون اليها .

(١و٢) ص ٢١٨ – ٢٢٠ ج ٢ مجلة المشرق ١٩٣٧
(٣و٤) اخبار مكة للازرقي ، – ليبزك ١٨٥٨ ص ٧٨

وثنية الجزيرة

بعيد ذاك الزمن الذي أله عرب الجاهلية فيه الاحجار واتخذوا من منحوتاتها اصناماً آلهة . وأبعد منه ذلك الذي يظن ان الانسان قد عرف فيه هذا النوع من العبادة فالقرآن الكريم يحدثنا ان قوم نوح أشركوا بالله وعبدوا الأصنام ، فاوحي اليه بالنبوة ، وبدعوتهم الى عبادة الله ففعل . غير ان قومه – شأن غيرهم – لم يزدادوا الا عتواً : « واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكباراً(١) » . ويصر نوح على هديهم ، ثم يخرج عن هذا الاصرار ويدعو عليهم ربه : «رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً(٢) » عندئذ يوحي الله اليه صنع الفلك ، فقد صمم الخالق على اغراق الارض... وتبتدىء قصة الطوفان .

ولنوح مكانة في القرآن ، وذكر طويل يسرد بكثرة مع عاد وثمود ، وله سورة باسمه ، ولربما كان اوسع ما في القرآن عنه في سورة هود . والظاهر ان اهم النقاط التي تدور حوله في الاساطير العربية كلها ، انما يستند الى مرجع في التوراة. ونوح كما يعتبره العرب هو احد مشاهير الانبياء ، اولي العزم من الرسل الذين جاءوا لانقاذ الجنس البشري من شروره وآثامه.

واذا جارينا قولهم ان نوحاً هو النسل التاسع فقط من ذرية الانسان التي تبتدىء بآدم ، وانه الاب الثاني للجنس البشري(٣) ، أمكن تصور الزمن الذي يرجع اليه ضلال الانسان.

وهل رضخ الانسان الى جبروت الخالق بعد ذلك الطوفان الذي مسح الارض وسوى بين الجبل والسهل ؟ ! يدور الفلك دورته واذا بهود يرسل الى قومه :« تلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد(٤) » . « قالوا ياهود ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك(٥) » . فعاد – كما يقولون – اول من عبد الاصنام بعد الطوفان، فكانت

(١) القرآن الكريم : س ٧١ آية ٦
(٢) « س ٧١ آية ٢٧ – ٢٨
(٣) J. Enc. ص ٣١٨ ، ٣١٩ ج ٩
(٤) القرآن الكريم: س ١١ آية ٦٢
(٥) « س ١١ آية ٥٦

اصنامهم ثلاثة : صدا ، وصمودا ، وهرا(١) .

وما لنا ولعاد الذين طغوا في البلاء فسيأتي حديثهم بعد ـ مطولا ـ في الاساطير . اما هنا فلسنا نتعرض في بحثنا وثنية العرب القدماء الا الى اولئك الجاهلين الذين سكنوا الحجاز ونجد وغيرها من مناطق الشمال . اما الحضارة الجنوبية فلها ثقافتها ، فهي مختلفة كل الاختلاف بمناحي حياتها عن مناحي حياة اهل الشمال . ويكفي ان تكون اللغة والدين في اليمن غيرهما في الحجاز ونجد وسواها من مساكن العرب في المناطق الشمالية .

اقول نترك حضارة الجنوب ونتقدم لدرس وثنية الشمال ، تلك الوثنية التي لم تدرس حق دراستها ، ولم يكشف القناع بعد عن كثير من وجوهها . لقد كانت لهم آلهة ، غير اننا لا نعرف الكثير عنها ، والاب لامنس يقول : « بالرغم من وجود ميثولوجيا حقيقية ، تحاكي اليونانية فللوثنية العربية نوع من المعابد Pantheon تتمثل فيه آلهة وآلهات لم تدرس علاقاتها دراسة كافية(٢) » .

اما انعدام تكوين فكرة واضحة عن هذه الآلهة والآلهات العربية فقد يرجع الى احد سببين ، او الى كليهما معاً : الاول ، قلة اهتمام العرب انفسهم بهذه الشؤون ، وقديماً عرف البدوي بضعف الايمان ، وعدم تمسكه بالدين وطقوسه . وقد حكى عنهم الكتاب قال : « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً(٣) » . والثاني قلة المصادر وندورة الابحاث ، اذ ان هنالك نتفاً تستمد مما كتبه اليونان عرضاً عن العرب الجاهليين ، واسماء ذكرتها النقوش السامية واليونانية . مع شيء ضئيل جداً من الشرح والتفصيل . وكل ما في هذا وذاك متصل بعرب المناطق الشمالية القصوى ... وهنالك شيء اوسع من ذلك ـ وهو في حد ذاته ضئيل ايضاً ـ نراه في الشعر العربي القديم . والقرآن مصدر هام لمثل هذه الدراسات . ثم لا ننس ما جمعه بعض الرواة من بقايا الوثنية العربية من قصص تتعلق بالاخلاق والعادات والاساطير . ولا حاجة بنا الى القول ان اكثر ما كتب من ابحاث في هذا الموضوع ـ ان لم نقل كله ـ انما هو ترجيع اصداء من اهم ميزاته ، وخير ما فيه ، توجيه الباحث الى مراجع هذه الاصداء .

هذا ، ولربما اتصل بالسبب الثاني سبب آخر لا ينفصل عنه ، وهو موقف النبي والمسلمين الاوائل من هذه العبادة المحجرة . وقد مر بنا تفصيل ذلك في الباب الاول .

والحقيقة اننا لا نعلم تمام العلم بدء عبادة الاحجار في بلاد العرب ، حتى ولا اصل هذه العبادة ، ويصعب جداً على الباحث حصر ذلك الزمن حتى ولو على وجه التقريب . وهو ان تساءل عن المرجع الذي انبثقت عنه هذه العبادة ، وجب عليه تتبع المشاكل السامية الاولى التي تضاربت حولها الآراء ، ولم يبت فيها على كثرة البحوث التي تناولت الكشف عن حقائقها . ولا نغالي اذا قلنا ان مثل هذه التحقيقات تتصل بالتنقيب عن الانسان الاول : موطنه ونزوحه التدريجي منه الى غيره من المناطق المجاورة او البعيدة .

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى ان هنالك نظريات حول الوطن الاصلي للشعوب السامية ، فالبعض يظن ان البلاد العربية هي نفس هذا الوطن ، والبعض يرجعه الى بلاد ما بين النهرين وغيرها من المناطق الشمالية الخصبة ، وللآخرين اقوال اخرى ولكل آراؤه وبراهينه . والذي يظهر ان الجميع بعيدون عن القول الفصل . وعلى هذا القول تتوقف امور خطيرة الشأن في وضعية ديانات هذه الشعوب ، ومعتقداتها وما يتعلق بذلك من خرافات واساطير .

ونحن نعلم قبل كل شيء ، ان العرب كانوا على اتصال دائم بمن حولهم ، وكان لهذا الاتصال سبل عديدة يذكرون منها : التجارة ، وانشاء المدن المتاخمة لفارس والروم ، والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب تدعو الى دينها وتنشر

---

(١) ص ١٢١ ج ١ البداية والنهاية . وفي المسعودي صمودا وصدا والهبا ص ٢٩٥ ج ٣ مروج الذهب ـ باريس ١٨٦١

(٢) ص ١٨ H. Lammens: Islam: Beliefs and Institutions

(٣) القرآن الكريم س ٩ آية ٩٨

تعاليمها(١) وهنالك سبل اخرى لا مجال الى ذكرها . فعلى نوع من هذا الاتصال القديم تبني كتب الادب والسير والتواريخ قصة دخول الوثنية الى بلاد العرب . غير ان هنالك روايات تفيد بان تأليه الاحجار ، او تقديسها يرجع الى ما قبل اسطورة « عمرو بن لحي » الذي – كما يقولون – نشر عبادة الاصنام في بلاد العرب بعد جلبها من الشام وجدة .

فالعرب طبقاً لقانون التضخم ، اخذوا ينزحون عن مكة وما جاورها من الاماكن ، وينفسحون في البلاد ، ولما كانوا يعظمون مكة والكعبة اوجب عليهم شعورهم الديني ان يأخذوا في ارتحالهم – كما ذكر الكلبي – اثراً من آثار الحرم وما جاوره من الاماكن المقدسة ، وليكن حجراً من احجاره . فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً بها .. ويطول بهم الزمن فينسون ما كانوا عليه ، وتبقى الحجارة – ولا سيما اذا كانت جميلة الشكل ملونة – فيما بينهم محبوبة مقدسة .... ثم ترقى الى التأليه فالعبادة . وهنا يصيرون الى ما كانت عليه الامم من قبلهم(٢) ومن هذا يظهر ان الوثنية فيهم قبل عمرو بن لحي مما عبدوه من حجارة الحرم في اسفارهم ، وانما هو – كما تخبر الاسطورة – اول من وضح لهم انواع عباداتها وبين لهم ضروب التقرب اليها ، واول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل اهله على تعظيمها كما سنرى .

وما دام لعمرو بن لحي هذا، تلك الاهمية في هذا الموضوع فلنتساءل هل كان ذلك الرجل شخصية تاريخية ؟ فاذا وجد وقاتل جرهما ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت – كما يقولون – ففي اي زمن عاش ؟ والجواب على السؤال الاخير يلقي قبساً من نور على اقدمية عبادة الاصنام التي انتشرت بين عرب الجاهلية في بلاد العرب .

تحدثنا الاساطير ان مؤسس مكة هو مضاض بن عمرو الجرهمي الذي تزوج بابنة اسماعيل ، وفي نفس الوقت بنى الحرم الذي اعطى مكة سيادتها على المدن العربية(٣) .والجرهمي نسبة الى قبيلة جرهم التي كانت نازلة يومئذ بواد قريب من مكة، والتي تزوج منها اسماعيل(٤) وازدهر الحليفان – الاسماعيليون

(١) ص ١٣ فجر الاسلام لاحمد أمين الطبعة الثانية – مصر
(٢) راجع كتاب الأصنام ص٦، السيرة ص٥١–٥٢، واخبار مكة ص٧٢
(٣) Ameer Ali : The Spirit of Islam, London 1923 (XIV)
(٤) تاريخ الرسل والملوك للطبري مطبعة بريل ليدن ١٨٨٤ ص٢٨٣ ج١

والجرهميون – فيما بعد في الحجاز، وتزايدوا حتى دهمهم نبوخذ نصر البابلي الذي لم ينجح من ملوك بابل سواه في محاولتهم غزو قلب الجزيرة وجرحه جرحاً خطيراً(١) .

وكانت جرهم تطيع ولد اسماعيل تعظيماً لهم ومعرفة بقدرهم ولما بدأ الاسماعيليون ينتشرون في البلاد اخذوا يسلمون الملك لجرهم لاواصر الخؤولة بين الشعبين(٢) . وقد مر معنا كيف ان جرهما طغت وبغت حتى فسقت في الحرام ، وكيف اهلكوا بالرعاف ، واجلي من تبقى منهم بعد ان هاجمتهم خزاعة(٣) .

وقبيلة خزاعة هذه نسبة الى حارثة بن عمرو الملقب بخزاعة، وقد هاجرت الى الشمال وافتتحت الحرم بعد خراب سد مأرب وقصة سيل العرم الذي كان – على رأي ياقوت – في ملك «حبشان؟» حيث خرب الامكنة المعمورة ، واكثر بلاد كهلان وعامة بلاد حمير(٤) .

فانهيار السد ، كما نرى ، هو سبب تفرق السكان الى انحاء الجزيرة ، على ان هنالك من المؤرخين من يظن ان بين الاسباب التي بعثت على هذه الهجرة ما اصاب اليمن من السقوط والضعف في التجارة على اثر النشاط التجاري الذي قام به الرومان في البحر الاحمر ما بين القرن الثالث والرابع للميلاد(٥) .

ويرى « جروهمن » بعد ذكره آراء الثقات، ان دمار السد النهائي قد وقع ما بين عام ٥٤٢ – حيث خرب لاول مرة – وعام ٥٧٠ للميلاد ، ويقول انه لا يعين للحادث تاريخاً مضبوطاً لان المعلومات الضرورية لذلك ناقصة(٦) .

وقد سكنت خزاعة المذكورة تهامة ، قبل ان أجلت جرهم من ديار مكة – كما ذكرنا – وكان الذي تزعم نزاعهم مع جرهم – على رأي الكلبي – صاحبنا عمرو بن لحي ، يقول : «وكانت ام عمر بن لحي فهيرة بنت عمرو بن الحارث – ويقال قمعة بنت مضاض الجرهمي ؟ – وكان الحارث هو الذي يلي امر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن لحي ، نازعه في الولاية ، وقاتل جرهما ببني اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من بلاد مكة،

(١) Ameer Ali XIV
(٢) تاريخ ابن واضح اليعقوبي مطبعة بريل ليدن ١٨٨٣ ص٢٥٤ ج١
(٣) راجع الطبري ص ١١٣١ – ١١٣٤ ج ١
(٤) معجم البلدان ص ٣٨٣ – ٣٨٥ ج ٤
(٥) راجع فجر الاسلام ص ٦ – ٧
(٦) Enc. of Islam ج ٣ ص ٢٤١

وتولى حجابة البيت بعدهم(١) » ولا يرى ابو الفرج اشتراك الاسماعيليين في هذا النزاع . يقول : « فلما حازت خزاعة امر مكة وصاروا اهلها جاءهم بنو اسماعيل ، وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك ، فسألوهم السكن معهم وحولهم فاذنوا لهم(٢) »

ومن المفيد ان نذكر ان لحيا « ابا عمرو » هو ربيعة بن حارثة بن عامر(٣) وبذلك يكون عمرو بن لحي حفيد خزاعة ، وعليه فلا يكون توليه البيت قد حدث - ان حدث - الا بعد نصف قرن ، على وجه التقريب ، من خراب سد مأرب بالسيل العرم .

ومن الاساطير التي تتهم عمراً بافساد الحنيفية وجلب الاصنام الى الكعبة نفهم انه فعل ذلك بعد ان ساد مكة وصار كاهناً له رئي من الجن .

وبعد هذا كله ، وتحت هذه الاضواء جميعها ، هل يمكننا حصر الزمن الذي احضر به هذا الكاهن الاصنام الى مكة وبث شعائر الوثنية بين القبائل ؟

يؤكد الشهير ستاني ان عمرو بن لحي قد اتى بهبل الى مكة

(١) كتاب الاصنام ص٨ (٢) الاغاني لابي الفرج الاصبهاني - بولاق ١٢٨٥ ص ١١٠ ج ١٣ (٣) كتاب الاصنام ص ٥٤

في زمن سابور ذي الاكتاف الذي - على راي الطبري - قد هادن قسطنطين ملك الروم باني مدينة قسطنطينية(١) وهذا يعني في النصف الاول من القرن الثالث للميلاد(٢) .

وليس ببعيد - ما يذكره المسعودي - ان تلي قبيلة خزاعة امر البيت ثلاثمائة سنة ويستقيم الامر لقصي(٣) ولكن بعيد جداً ان يكون عمرو بن لحي - كما يقول - قد عمر ثلاثمائة وخمساً واربعين(٤) . فلو فرضنا ان عمراً قد حق له حجابة البيت وهو في العقد الخامس من عمره لما ترك لخزاعي نصيباً في هذه الحجابة حتى عهد قصي .

ويتفق النسابون على ان قصياً هذا هو الجد الخامس للنبي العربي(٥) فلا يستبعد ان يكون قد ولد في اواخر القرن الرابع للميلاد ، او سنة ٤٠٠ م على وجه التقريب(٦) .

فكيف نوفق بين هذا التاريخ القريب من الحقيقة وبين قول من يرى ان قصة السيل وقعت حوالي منتصف القرن الثالث م. او حوالي القرن السادس م. ، تلك الحادثة التي هاجرت بعدها خزاعة واستحلت مكة ووليت البيت ما يقرب من الثلاثة قرون اي الى زمن قصي ؟ فلو اخذنا برأي « جروهمن » السابق لكان خراب سد مأرب قد حدث بعد مولد قصي بما يقارب القرن والنصف ... وبهذا نقلب كل ما جاء به المؤرخون العرب عن تاريخ ما قبل الاسلام رأساً على عقب . اما اذا فرضنا ان هجرة اليمن بعد خراب السد وبعد النشاط الروماني التجاري في البحر الاحمر ما بين القرن الثالث للميلاد كان مولد قصي واحتلال خزاعة لمكة بنحو نصف قرن او اقل ، وهنا نقترب من رواية الشهير ستاني الذي يقول ان عمرو بن لحي كان معاصراً لسابور ذي الاكتاف ، وذلك في النصف الاول من القرن الثالث للميلاد وهذا ما نراه اقرب الى الصواب في بحث وثنية هذا الكاهن الذي لم تكد شخصيته تتخلص من ضباب الاساطير .

محمود الحوت

(١) اقرأ اخباره في الطبري ص ٨٣٦ - ٨٤٦ ج ١

(٢) ص ٣٣٦ ج ١ Enc. of Islam راجع ايضا تاريخ ابي الفدا قسطنطينية ١٢٨٦ ص ٨٠ ج١

(٣) مروج الذهب للمسعودي ص ١١٩ ج ٣

(٤) نفس المصدر ص ١١٥ ج ٣

(٥) راجع اول مقالة قصي في Enc. of Islam

(٦) انظر حياة محمد لمحمد حسين هيكل - القاهرة ١٣٥٤ ص ٦٧

سراب

✡

كادت تنكرني لولا انني اخوها

•

لطه العبيدي

•

بغداد

✡

واحسرتاه
لا تتعبي عينيكِ ..عمّ تفتشين؟
لا شيء مما تذكرين
لا الوجه.. لا اليد..لا الشفاه
واحسرتاه
الامس والهفي عليهْ !
طفل تذكّر والديه
فبكى وماتْ

*

فتثاقلت شفة تهمُّ..ولا كلامْ
وتثاءبت رئتان وانتفضت يدان
والليل كالخطو الجبانِ
يسعى على مقل الزمان
الا عيون مطبقات لن تنام
الا عيون مطبقات

*

يا ليتنا عدنا كما تتذكرينْ
يا ليتنا عدنا صغار
نبني المساكن في رمالِ
بيضاً تحرّقنا حنيناً ، وانتظار
حتى تمرّ بنا عيون العابرين
فنتيه.. لا أم تهددنا
نخاف ولا سعالي
ونفرّ بالاحلام من دار لدار

*

يا ليتنا عدنا كما تتذكرين
نبكي ، ونضحك ما نشاءْ
فلطالما صغنا الهناءة من تراب
لُعباً نحييها ربيعاً ثم ندفنها شتاءْ
بالثلج، بالشمس الطعينة، بالضباب
حتى نُملّ فنحطم اللعب الصغيرة
بالحجار
يا ليتنا عدنا صغار
نبكي ونضحك ما نشاء
نبكي
ويضحكنا البكاء



جلنار

لميشيل طراد ـ مجموعة شعرية باللغة العامية ـ مع مقدمة لسعيد عقل
١٤١ صفحة ـ قطع صغير ـ ورق فاخر ـ منشورات الرابطة الفكرية ـ بيروت

حاول ميشال طراد ان يجلو تحفته الشعرية الاولى «جلنار» جلوة لبنانية جبلية خالصة، وشاء سعيد عقل ان «يعمد» المحاولة بهذه المقدمة الفلسفية الشعرية العميقة الرائعة، التي كتبها بلهجة لبنانية جبلية خالصة؛ وزاد سعيد عقل فجعل من هذا «التعميد» محاولة ثانية جريئة، اذ شاء ان يقفز بلغة «الضيعة» اللبنانية قفزة هائلة جبارة، تعبر الف جسر، وتثب من فوق الف جبل وجبل، في لحظات معدودات، حتى تصل ما بين الذهن الفطري البسيط الساذج، وبين الفكر الفلسفي الشعري التجريدي الخلاق.

اي لقد حاول سعيد عقل ان يلقي في روع هذه اللغة الفطرية البسيطة الساذجة: لغة «الضيعة» اللبنانية الجبلية، انها قادرة كالفصحى، على ان تتحدث بالافكار العميقة المجنحة، في فلسفة المعرفة والجمال، وان تقص «حكاية» الخلق الادبي والفني كاملة

انها لمحاولة بكر، جريئة، غنية بالرجولة والسحر، والطرافة معاً، ولكن... ما قيمة المحاولة بذاتها؟ وما نصيبها من النجاح؟

انا انظر الى المحاولة، من الوجهة التقدمية، فاراها لا تزيد عن كونها انطواءة اقليمية جديدة، وانكفاءة رجعية الى الذات المحلية الضيقة، فهي ـ اذن ـ عامل اجتماعي وشعوري وفكري جديد، لعزل هذه البيئة اللبنانية الصغيرة، عن هذا المضرب الشعبي الواسع الذي تعيش فيه البيئات العربية الكثيرة، هذه البيئات التي تشارك لبنان لغته، وفكره، وفنه، وادبه، وشعوره ـ اي طريقة التعبير عن شعوره ـ وثقافته، وكثيراً من الوان حياته الذاتية، وكثيراً من مقومات وجوده المادي والعقلي.. ونحن في زمن تتقارب فيه الشعوب، وتتنادى الى التفاهم بايسر الوسائل واقربها الى اذهان العدد الكثير من الناس في شعوب كثيرة، فضلا عن شعب واحد.

على ان المحاولة غير ناجحة، فقد واجه سعيد عقل فيها «محنة» التجربة، لان لغة «الضيعة» اللبنانية لم تقو على استيعاب افكاره العميقة الدقيقة، ولم تستطع ادراك مفاهيمه وحقائقه ورموزه لان العامية ـ كل عامية ـ ليست حتى الآن، لغة الفكر والعلم والادب والفلسفة.

فكيف خرج سعيد عقل ـ اذن ـ من المحنة؟

لقد ابى ان يعترف بعجز العامية واضطر ان «يصطنع» لنفسه «عصا سحرية» ظن انها قادرة على تطويع العامية لخوض الاعماق، ولكن «عصاه السحرية» لم تزد عن انها لجأت الى الفصحى فاخذت منها اللفظات المعبرة عن الحقائق الفنية والمفاهيم الفكرية العميقة، واخذت منها اسلوب الاداء والتعبير نفسه، ثم فرضت على اللفظات الفصيحة هذه، ان تلتوي من هنا، وتنحني من هناك، كما تلهج «الضيعة» تماماً، واذا بسعيد عقل ـ بعد هذا ـ يظن ان العامية نفسها هي التي عبرت عن افكاره الدقيقة العميقة الرائعة.

ولنسأل شاعرنا سعيد. ترى، ما القصد من العدول عن الفصحى، الى العامية في الكتابة الفكرية والادبية؟

لعل القصد ان يشاركنا ابن الشعب افكارنا، وان نحرك في ذات الشعب احاسيسنا الجمالية الرفيعة... فان كان هذا، فانبل به قصداً، ولكن: اتراك يا شاعرنا، بلغت هذا القصد في مقدمة «جلنار»؟

الواقع اني اشك ان يفهم افكارك التجريدية المطلقة العميقة في هذه المقدمة، كثير من المثقفين، والادباء، فضلا عن ابن الشعب، وابن «الضيعة»، فماذا صنعت ـ اذن ـ يا شاعرنا، واي قصد بلغت؟

***

اما «جلنار» ميشال طراد، فلها شأن يختلف عن شان مقدمة سعيد عقل.

«جلنار» شعر، والشعر غير الفلسفة.

«جلنار» شعر من قلب الريف، من طبيعة «الضيعة» من روح الشعب: من مجاري انفاسه. وارتعاشات ضلوعه، والتماعات عينيه، وتمتمات شفتيه... من كرمته وغيمته وسهرته،

من نجمه وقمره وشمسه .. من ربيعه وثلجه وعاصفته وساقيته .. من فطرته وبراعته وطهارته وصفائه .. من لون الحب في قلبه ولون الجمال في ارضه وسمائه .

« جلنار » شعر من القلب ومن الطبيعة معاً ، اي من الحب والجمال معاً ، وهذا غير فلسفة الحب وغير فلسفة الجمال .

« جلنار » موجة خلق في رأس شاعر خلاق ، وهذه غير ان تروي حكاية الخلق ، اعني ان « تحلل » عمل الخلق في « مختبر » العقل المطلق المجرد ...

« جلنار » صور والوان ومشاهد وشخوص واحاسيس واختلاجات ، وهذه كلها من الواقع « المادي » لا من عالم المجردات والمطلقات ، فهي – اذن – من حياة القرية ، وواقع الشعب ، و « مادة » الوجود الحي في الريف . وليس من بأس على شاعر هذا الوجود ان يتغنى باللغة ، او اللهجة ، التي يحياها الريف ويتنفسها ، والتي بها يحب ويشعر ، ويفرح ، ويحزن ، ويتوجع ويشتاق ، ويطمح .

ليس من بأس على شاعر الشعب ، في كل بلد عربي ، ان يتغنى بلهجة الشعب نفسه ، ما دامت الفصحى العربية ، تأبى حتى الان ان تعيش مع كثرة الشعب في الحقل والمصنع ، في القرية والمدينة ، اعني ما دام ادباء الفصحى انفسهم يأبون عليها ذلك ، اذ يرغمونها ان تظل قائمة في هذه « الموميات » الهالكة من اللفظات والعبارات والمجازات والتشبيهات .

***

بقي ان نهمس باذن ميشال طراد كلمة صغيرة :

ليست « الضيعة » اللبنانية اليوم ، كعهدك بها زمن الطفولة ، يا ميشال .. ليست تعيش اليوم على الحب و « التكتكي ع درب العين » ، والمغامزة مع النجمات ، والمداعبة مع الغيمات ، و « تحويش » الوردات ...

ليتك ، يا ميشال ، ترجع الى « الضيعة » وتعيش حياتها اليوم ، ولو ساعة زمان ، وتسمع دقات قلبها ، وتصغي الى « حكايات » الصبايا والشباب في دروبها ، ثم تعود الى عيشك المترف الجديد .

ليتك ، يا ميشال ، تفعل هذا ، اذن لتفجرت شاعريتك العظيمة بينبوع جديد : ينبوع من « حقيقة » الشعب اللبناني في يومه الحاضر ، وعيشه الحاضر ..

ليتك ، يا ميشال ، تفعل هذا ، اذن لتصورت دنياك اليوم غير التي كنت تتصور من زمان ... ولقلت اصاحبك اليوم غير الذي قلت يومذاك : « يا صاحبي ، ما كان اجمل هـ الدني لو كنت متلي انت عمتتصوروا وتختصرها بعمر ، عمر السوسني ، وكاس خمر ، ومجوز ، وضحكة مرا » .

حسين مروة

ظهر حديثاً :

• النقد واللغة في رسالة الغفران – للدكتور أمجد الطرابلسي الاستاذ بكلية الاداب في الجامعة السورية – ٢١٦ صفحة – ورق صقيل – قطع كبير – مطبعة الجامعة السورية بدمشق

قال الدكتور الطرابلسي : هذه دروس القيتها على طلاب شهادة آداب اللغة العربية خلال العامين الدراسيين ١٩٤٩–١٩٥٠ و ١٩٥٠ – ١٩٥١ .

وقد تعمدت الاكثار فيها من ايراد النصوص المختارة من « الغفران » لسببين :

أولهما ان نتائج البحوث الادبية تكون ادعى للثقة والاطمئنان كلما كثرت النصوص التي تستمد هذه البحوث نتائجها منها .

وثانيهما رغبتي في ان تكثر ممارسة الطلاب لمثل هذه النصوص لان الميل الادبي الحقيقي انما يتكون في نفس الطالب عندما تربط بينه وبين كنوز ادبنا القديم روابط الالفة الصحيحة .

واني لارجو ان اكون قد استطعت في هذا الجزء الاول من البحث ان القي بعض الضوء على ناحية قلما عني الباحثون بالكشف عنها ، واعني بها شخصية المعري العلمية كما تتجلى في « الغفران » . اما شخصيته الفنية في هذا الاثر الخالد فللكشف عنها جزء ثان استمد من الله العون على انجازه »

• بنو خفاجه وتاريخهم السياسي والادبي – لمحمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية اللغة العربية بالازهر : الجزء الاول ١١٣ صفحة – الجزء الثاني ٩٢ صفحة – الجزء الثالث ١٢٨ صفحة – المطبعة الفاروقية الحديثة بالقاهرة

الاسلام وحقوق الانسان – لمحمد عبد المنعم خفاجي – ١٨٩ صفحة دار النشر المصرية بالقاهرة

قال الدكتور احمد زكي ابو شادي بك في حديث اذاعه من محطة اذاعة صوت امريكا :

الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ظاهرة فذة شائقة في الوراثة والاطلاع والاستقراء والانتاج فهو سبط الاديب الكبير الشيخ

نافع الخفاجي وهو من اسرة بني خفاجة التي تنتمي الى اصول عربية قديمة ومنها الامراء الخفاجيون في اقليم الكوفة، والامراء الخفاجيون بحلب، ومنهم الامير ابن سنان الخفاجي الحلبي، ومن اشهر النابغين في مصر من الخفاجيين الشهاب الخفاجي المصري.

وهذا الرجل الذي يحمل أعلى شهادات الازهر العلمية [وهي شهادة الاستاذية في الادب والبلاغة التي تعادل «الدكتوراه» من الجامعات السامقة كالسوربون مثلا] والذي اخرج حتى الآن نحو ثلاثين كتاباً في فنون الادب، والذي يتولى استاذيته بكلية اللغة العربية في الازهر، والذي يشتغل ليل نهار بالمطالعة والتأليف حتى قيل انه لم يعرف عن ازهري قديماً وحديثاً انه اطلع مثل اطلاعه على مئات الكتب القيمة من مخطوطة ومطبوعة، هذا الرجل العلامة الموهوب الذي لا يكتفي بتراثه العربي فيتعلم الفرنسية والانجليزية ليقف بنفسه على امهات التصانيف والمراجع الاوروبية والامريكية وليتذوق الادب العالمي من مناهله الاولى ومنابعه الاصلية، اصبح الآن مناط آمال الازهريين في التجديد الادبي.

وانه لعسير ان يختار المرء كتاباً من كتبه للعرض في مجال الحديث عن الادب العربي، نظراً لكثرتها وتنوعها متناولة جميع فروع الادب. والاستاذ خفاجي ليس لغوياً ولا اديباً فحسب، بل هو شاعر ايضاً شأنه في ذلك شأن الاستاذ طه حسين، ولذلك - الى جانب ثقافته الواسعة التي تلتهم كل معرفة ميسورة - كان طابع كتابته شعرياً جميلا مع الحرص على الدقة العلمية في الوقت ذاته. ولذلك نالت تصانيفه احتراماً عاماً في جميع الاوساط الادبية ببلاد العرب وفي دوائر الاستشراق، بغض النظر عن موافقته على آرائه او مخالفته فيها.

• نفحات الرياض - شعر - لمحمد علي منقارة «من ندوة عبقر» ٩٦ صفحة - قطع صغير - طبع في طرابلس لبنان

يقول الشاعر في المقدمة: «ان ناقوس الخطر على القضية العربية يدق مجلجلا مدوياً ومهيباً بابنائها الميامين ورجالها المؤمنين الصادقين ليحزموا امرهم ويوحدوا صفوفهم وينبذوا خلافاتهم ويكونوا كتلة متراصة متساندة تدرأ عن البلاد والامة الفجاءات الراعبة الماحقة والاهوال المتربصة المتحفزة، فقد جد الجد وان الزمن لا يرحم الغافلين ولا المتخاذلين.

لكنني كبير الامل بان هذا الركب الصاعد من الشباب القومي المنظم سيحبط بوعيه وتكتله وتآزره تلك المؤامرات التي تحاك سراً وجهاراً حول قضيته.»

• نماذج فنية من الأدب والنقد - لأنور المعداوي - ٣٥٠ صفحة قطع كبير - ورق صقيل - لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

يقول الاستاذ المعداوي في مقدمة الكتاب: «قيل عني يوماً او قيل لي: انك عامل هدم في الحياة الادبية ولست عامل بناء... لماذا؟ لانني منذ ان تناولت قلمي لاكتب، تحول القلم في يدي الى معول ثائر، معول تنصب ثورته على بعض القيم والاوضاع! ولم اضق بهذا الاتهام السافر الذي وجه الي على صفحات «الرسالة» لانني قد طبعت على الا اضيق بأي اتهام ما دمت قادراً على الدفاع!

... النقد الادبي في مصر تنقصه هذه الدعائم الاربع مجتمعة: الثقافة، والتجربة، والذوق، والضمير. واقول مجتمعة لان هناك المثقف المحروم من الذوق، ذلك الذي يوفق حين يقدم اليك نظرية في النقد ويخفق اذا ما وصل الى مرحلة التمثيل والتطبيق. وهناك المثقف الذي لم يمد ثقافته بروافد من التجربة الكاملة، ونعني بها معالجة الكتابة في النقد الادبي على هدى الاحاطة التامة باصوله ومناهجه... وهناك المثقف الذي تجتمع له الثقافة والذوق والتجربة ولكنه يتخلى عن الضمير، حين يدفعه الهوى الى ان يهاجم الخصم ويجامل الصديق!

هذه هي بعض الزوايا التي تنظر منها الى من يتولون صناعة النقد في هذه الايام... وتبقى بعد ذلك زاوية لا تقل عن سوابقها خطورة، وهي ان هؤلاء الناس تنقصهم صفة التخصص: فبعضهم يتحدث عن القصة وهو لا يعرف شيئاً عن الخطوط الفنية التي تكون الهيكل العام للقصة، وعن المسرحية وهو لا يدرك على اي الدعائم يقوم البناء الفني للمسرحية، وعن ادب التراجم وهو لا يستطيع ان يفرق بينه وبين غيره من الوان الدراسة الادبية، وعن الشعر وهو محروم من نعمة الشعور... ومما يبعث على الاسف ان الذين اجادوا التحليق يوماً في افق النقد قد هجروه الى غيره من الآفاق، دون ان يقدروا مدى الفراغ الذي تحسه المكتبة العربية في هذا المجال منذ سنين!

نظرت الى النقد الادبي عندنا فوجدته على تلك الحال التي ذكرت، يغلب عليه طابع الغفلة والمجاملة والبلادة والانحلال... ونظرت الى ادبنا في محيط الدراسة الفنية فوجدته في اكثر حالاته ادب المحاكاة الناقلة لا ادب الاصالة الخالقة، ادب الترديد والتقليد لا ادب الابداع والتجديد. ليس له طابع خاص وليست له شخصية مستقلة...

... انني اتحدث هنا عن ادبنا المصري في نطاق الدراسة

الادبية والنقدية ...

... من هنا تحول القلم في يدي الى معول ثائر كما قلت لك، معول تنصب ثورته على بعض القيم والاوضاع ... ومن هنا ايضاً قيل عني او قيل لي : انك عامل هدم في الحياة الادبية ولست عامل بناء ! ترى هل يصدق عليّ مثل هذا الاتهام ؟

...حاولت ان اقيم الدراسة الادبية والنقدية على اسس جديدة فيها النظرة الذاتية ، وفيها الرأي المستقل وفيها خط الاتجاه الفكري الذي ينبذ الترديد والتقليد !

هذه المحاولة المخلصة يقدمها هذا الكتاب.»

● عناقيد الحياة ـ لصلحي ابراهيم ـ ٩٣ صفحة ـ شركة النشر ، والطباعة العراقية المحدودة ببغداد

مجموعة من شعر الغزل والمناجاة والشكوى والعتاب وحرقة الشوق مختتمة بقصيدتين يغني بها صاحبها نشيد التحرير وحداء القافلة مبشراً «بفجر جديد يضيء الدروب وينفض عنهم غبار اللغوب فيرنو السلام ويحيا الانام حياة الكرام.»

● بقايا ضباب ـ لعبدالله نيازي ـ ٥١ صفحة ـ قطع صغير ـ مطبعة الرابطة ببغداد

مجموعة اقاصيص عن ذكريات الطفولة وتجارب الحب واحداث المجتمع .

● فاتح العالم الجديد ـ لاحمد بدران وفاضل كرومي ـ ٨٦ صفحة قطع كبير ـ المطبعة البولسية حريصا ـ لبنان

هذا الكتاب يبحث عن اكتشاف القارة الامريكية ويزيح الستار عن شخصية كولومبوس التي يجهل خفاياها الكثيرون.

وقد جاء في الاهداء : « نتقدم بهذه الهدية المتواضعة الى النشء الجديد راجين ان يستخلص لنفسه درساً من حياة بطلها التي زخرت بالمآسي والمحن »

● صلوات على الشاطىء ـ لاحمد الشرباصي ـ ١٢٥ صفحة ـ الهدية السنوية لمجلة «البعثة» الكويتية بمصر ـ مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة

يقول الاستاذ عبدالله زكريا الانصاري رئيس تحرير مجلة « البعثة » في مقدمة الكتاب :

«صلوات على الشاطىء » هي مذكرات ادبية روحية املاها صاحبها على شاطىء «رأس البر» ويقدمها الى « شاطىء الخليج العربي » لما بين الشاطئين من تجاوب روحي متين ، وتخاطر نفساني وثيق ، وتقارب خلقي جم .

انك لا تكاد تهم بقراءة هذه « الصلوات » حتى تأخذك بسحرها العجيب ، وتجرفك بتيارها القوي المستمد من تيار البحر ، فتندمج بقراءتها ويزيدك بهذا الاندماج ولوعاً واغراء ذلك الاسلوب المتين والمعنى الرفيع والاشعار الحية .

واني اذ اختصر القول لأترك للقارىء الحكم على هذه « الصلوات» ليقرأها قراءة واعية ويحكم لها أو عليها.»

● همسات عشتروت ـ شعر ـ لرشدي العامل ـ ٦٦ صفحة ـ قطع صغير ـ مطبعة الجامعة ببغداد

يهدي الشاعر هذه « الهمسات » الى والده معلمه الاول :

« الذي غرس فيّ حب الشعر فنظمت وعلمني الاخلاص للفن فنذرت له نفسي ارفع هذه الهمسات الهادئة الوادعة تنساب ساحرة كنسيم الربيع البليل صافية كالليالي البيضاء، علها تحرك ساكنا من روحك النبيلة .

ولعلك معي في ان غرسك او شك ان يثمر »

● عاصفة تثور ـ لمحمد دمق ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الشريف بتونس

قال الاستاذ علي البلهوان في مقدمة الكتاب :

هذا شاب لم يبلغ العشرين من عمره، يطلب وينشد ويفتش وكأن عباراته اسئلة لم يجد الجواب عليها .

ربما لم يذق صاحب هذه الهمسات الحلو والمر بنفسه ولكنه شعر بآلام من قامت حوله السدود من كل جانب ، فحجزته عن الحياة بما فيها من حلو ومر .

ونظر فرأى التقاليد الجامدة كأنها الاغلال ...

... فثارت نفسه على التقاليد العمياء والظلم والنفاق وصاح صيحته فكانت هذه الصفحات !

● دعوة الأحمدية وغرضها ـ لامام الجماعة الأحمدية ميرزا بشير الدين محمود احمد ـ ٤٨ صفحة ـ طبعته لجنة الاشاعة والنشر الأحمدية في المركز وجماعة دمشق ـ مطبعة ابن زيدون بدمشق

● Islam in the Modern World - 96 pages - A series of addresses presented at the Fifth Annual Conference on Middle East Affairs, sponsored by the Middle East Institute, Washington U. S. A. Edited by Dorethea Seelye Franck - Published by : The Middle East Institute, Washington.

جولة الأديب في شهر

من الحوماني الى البير أديب

في مطلع هذا العام الجديد استقبلت مجلة الأديب الراقية عامها الحادي عشر وهي كما عرفها القراء اشد ما تكون حرصا على اداء رسالتها الادبية رغم المصاعب التي تواجهها والعقبات التي تعترض سبيلها . وقد تلقينا من الشاعر الملهم الاستاذ محمد علي الحوماني هذه الكلمة التي يحيي فيها الأديب لمناسبة عامها الجديد ننشرها شاكرين للشاعر عاطفته نحو مجلة تعتبر من ارقى مجلاتنا في العالم العربي. قال الاستاذ الحوماني:

عزيزي البير اديب :

ما كان اقصر هذه اللمحة من الزمن؟ عشرة اعوام مرت بنا ، ونحن اسرتك ، نلتف حول هذا الاديب الذي بعثته نادياً يلم شعثنا ، ومدرسة تثقف عقولنا ، ومجلة تعرب السنتنا .

بماذا اذكرك من هذه الاعوام التي سلخت من روحك اضعاف ما طوت من صحائف الزمن؟ أحين كنا «اخوان ثقافة» لا نرى مسرحاً لآمالنا الا دارك نادياً لنا . والا صحيفتك هذه معهداً نيرا بين ايدينا السبيل التي تفضي بنا الى الحياة الحرة .

ليالي... كنا نختلف فيها الى دار جميل بيهم ورئيف ابي اللمع، وعيسى العيسى ... وامامنا فياض يتحدث الينا عن « ابولو » والعلايلي عن «فلان» وصلاح الاسير عن «فينيس» وبهيج عثمان عن « باول كروس » وعبود عن « احمد فارس الشدياق » .

ليال كانت مشرقة بطموح الاديب وآماله الخضر في عهد فلان «ان سوف يكون» اديبك مهبط ذلك الطموح ومحط هذه الامال ان سوف يكون قلمك المحبر فيه مناط عز العروبة ، وناديك الحافل به منار العرب ، وفمك الباسم له غرة الجيل.

كنا نغدو عليك ونروح اسرة لا يتجاوز افرادها العشرة عداد سنيك العشر هذه، التي كانت لنا مثار هذه الذكرى الحافلة بالالام ، نعم كنا نغدو عليك ونروح ، والنشاط ملء نفوسنا ان سوف يكون الاديب... وستكون داره ... وستصبح اسرته...

بالله للزمن الحافل بعجائب اهله ! اذ يدور هذا الزمن فاذا باسرة الاديب ، فلان في اميركا ... وفلان في العراق... وفلان في مصر ... وفلان في جهنم ... واذا بك انت يا صاحب الاديب في بيتك ، واذا بأديبك يصدر عن حجرة قعيدها « رهن المحبسين »

عزيزي ابا ندى :

لقد قرات دورة الزمن العاشرة على «اديبك» وهو يتجمل بصبرك ويدرع حكمتك، ويزحف من وراء تضحياتك المرة زحف المكبل بالسلاسل الى حيث يدخره الزمن في سجل الخلود .

صبراً يا البير ، انها فترة قصيرة من الزمن جهلت فيها الامة بعثها على يد من يكون ؟؟ وجهلت عزها تحت لواء من يكون ؟؟ ثم جهلت كل الجهل عنانها في قبضة من يجب ان يكون ؟؟؟...

ان امتك العربية لا تزال غرة بعد ان ولدتها الحياة من جديد، فلا عجب ، وهي طفلة، ان ترى الدمية فتحسبها الام ، وان تلمس عز الابوة في ظلال التماثيل، ألما تزل يتيمة الاب والام يا البير؟؟ سوف لا يخذلك الحق والذي من اجله انفدت مالك، وفي سبيله قتلت وقتك ، وعلى شرفه كرعت هذه الاكواب التي سكرت بها فكنت فريسة القادة العمي الصم البكم الذين عناهم الشاعر بالامس وهو يخاطب سيد العرب الاول بقوله :

ما عرفنا الحياة بعدك الا انها جلبة بلا فرسان
وجهلنا الحكيم بعدك الا ابو فارس بلا ميدان
والذي يمسك الاعنة منا فرس شامس بغير عنان

عزيزي ابا « الاديب » !

انه فضلك علينا ، نحن اسرة اديبك المنفضين عنه ، هو انك ثبت وتزعزعنا ، وانك صبرت وجزعنا ، وانك احتسبت اجرك عند الله ، ونحن ننشد في غربتنا قول الشاعر :

وما عاقل باع الوجود بدين

اهنيك الهي على بعد الدار ، باجتيازك العقبة العاشرة، وانت رافع الراس ، ناصع الجبين ، موفور الكرامة ، لم يدنسك الاسفاف، ولا استهواك الملق، ولا استخف بك «قرش الفقير» سلاماً لك من اخيك الذي احب ان يحييك على صفحات «الجبل»

الحرة وهي الصحيفة التي تشبه صحيفتك في النبل ، يقوم عليها رجل يحمل ما تحمله انت من الحكمة والصبر على البلاء .

والى اللقاء القريب

جريدة « الجيل » دمشق — محمد علي الحوماني - بغداد

الاديب في عقدها الثاني

ننشر فيما يلي ما كتبته الزميلات الكريمات بمناسبة دخول « الاديب » سنتها الحادية عشرة . شاكرين لكتابها الافاضل تلطفهم وحسن ظنهم وجميل عنايتهم :

***

في عصر الحياة، في عصر التأميم، وسط موجات الاضطرابات والمخاوف كم نحن الى اقلام تواقة الى الحرية ، متطلعة الى السعادة ترفع للقيم معالمها وللاهداف مستواها ، بل ، كما تعوزنا صحف تجمع امثال هاتيك الاقلام تحت لوائها فتثير اهتمام القراء بما تنشره من آثارها وتسترعي انصاتهم الى صريرها .

لقد كانت «الاديب» المجلة الاولى في لبنان التي نذرت نفسها لخدمة الادب والفكر بعيدة عن تيارات السياسة البعد كله . فغدت ملتقى لارباب القلم من دنيا العرب ، ومتعة ينتظرها قراء العربية شهراً بعد شهر وما خاتهم يوماً . بل ، بوفرة نشاطها وعزيز مواضيعها وغنى ابحاثها وبرصانة اخراجها وتنوع ابوابها المتفتحة على آفاق الاداب والفنون والسياسة والاجتماع بهمة صاحبها المقدام الاستاذ البير اديب ، كانت خير باعث لحركة ادبية مباركة .

وها هي تجتاز السنة العاشرة من عمرها ولا تزال على جهاد مستمر وثبات عجيب في عالم الصحافة الادبية العربية بينما غير واحدة من زميلاتها اخذت تتضاءل او تضمحل او تتبدل الى صحف مبتذلة ثرثارة رخيصة .

فالى الزميل الكبير الاستاذ البير ، الذي عرف باخلاصه وعنايته وجهوده ان يقي « الاديب » كل العثرات ويذلل امامها شتى الصعوبات ، كل تقديرنا واعجابنا وتمنياتنا لان تظل مجلته ، عقداً بعد عقد ، كريمة البقاء عزيزة ، خدمة للفكر والادب في لبنان وفي دنيا العرب .

انطونيوس راشد ابي يونس

مجلة «السنابل» للرهبانية اللبنانية المارونية ، بيروت

***

انهت مجلة « الاديب » الغراء عامها العاشر ودخلت العقد الثاني من عمرها المديد إن شاء الله .

ومجلة « الاديب » تعد اليوم من ارقى واكبر المجلات العربية التي تخدم الادب الرفيع ، والقومية الصحيحة ، والفكرة الحية . ويكفي ان تقلب صفحات هذه المجلدات العشرة التي تزهو بها المكتبة العربية لتشاهد الهدف الرفيع الذي ترمي اليه ، والفكرة السامية التي تدافع عنها ، والعقيدة الراسخة التي تعمل لها ، غير عابئة بما يعترض طريقها من صعاب وعقبات ، مضحية بكل ما تملك في سبيل اداء رسالتها المقدسة .

ان «الاديب» مجلة كل عربي حر ، وصحيفة كل أديب مثقف ، وكتاب كل باحث مدقق . وما كانت « الاديب » لتصل الى هذه الدرجة من الرقي والازدهار لولا هذه الجهود الجبارة الموفقة التي يبذلها القائمون عليها ، وعلى راسهم الاستاذ الحر الكبير «البير اديب» .

ويسر «البعثة» ان تتقدم الى زميلتها الكبرى باصدق التمنيات واخلص التهنئات ، راجية لها دوام التوفيق واطراد النجاح حتى تؤدي رسالتها المقدسة نحو الامة العربية ، ونحو الادب الرفيع ، ونحو الثقافة الحرة .

نشرة ادارة بعثات «الكويت» الثقافية — مجلة «البعثة» القاهرة

***

استقبلت مجلة الاديب التي يصدرها في بيروت الاستاذ البير اديب عقدها الثاني والاديب مجلة تبحث في الآداب والفنون والعلوم السياسية والاجتماع ، وتصدر في مطلع كل شهر في سفر ضخم نفيس يزخر باعلام الادب والبيان في الشرق وتحفل كل صفحة فيها بذخيرة طيبة في العلوم والفنون الحية التي تفردت بها الاديب تفرداً رفعها الى مصاف المجلات الحية في الشرق .

ومن يطالع الاديب لأول وهلة يحكم بمدى الجهود الادبية والمادية التي ينفقها صاحبها الاستاذ البير اديب للسمو بالرسالة الصحافية التي تهدي وتضيء .

وقد حفل العدد الاخير من الاديب بما يربي على ٤٤ موضوعاً لفطاحل الكتاب والشعراء والمؤرخين الذين صاغوا من اقلامهم قطعاً حية من الادب الواقعي الذي يصور جوانب الحياة وجوانب النفس في صورة براقة تأخذ بالالباب وتنفذ الى مجامع القلوب .

ونحن إذ نهنيء الاديب فاننا نبعث الها من مصر بتحية فخر واعجاب .

جريدة « الانذار » للمنيا مصر

***

جاء في مجلة «الاديب» الغراء لصاحبها الزميل الحبيب البير اديب ما يلي :

دخلت سنتها السادسة جريدة «العرب» الغراء التي يصدرها



٢٦ - قامت مظاهرات صاخبة في القاهرة احتجاجا على هجوم القوات البريطانية امس على دار المحافظة بالاسماعيلية الذي سبب مقتل ٤٦ من رجال البوليس المصري وجرح الكثيرين واحرق المتظاهرون عدة منشئات. وقد اعلنت الأحكام العرفية في القطر المصري وعين النحاس باشا حاكما عسكريا عاما .

٢٧ - اعفى الملك فاروق وزارة مصطفى النحاس باشا من الحكم وعهد الى علي ماهر باشا بتأليف الوزارة .

- الف علي ماهر باشا الوزارة المصرية وعين حاكما عسكريا عاما .

٢٨ - اقرت اللجنة السياسية لهيئة الامم قبول ليبيا في الأمم المتحدة .

٢٩ - سلمت حكومة الاتحاد السوفياتي مذكرة الى امريكا وبريطانيا وفرنسا اعلنت فيها انها تعتبر مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط محاولة لجعل هذه المنطقة قاعدة حربية تابعة لحلف شمالي الأطلسي .

٣٠ - عين الأميرال الأمريكي ماك كورميك قائداً اعلى لأساطيل حلف الأطلسي والفيس اميرال الانجليزي سير وليم اندروز نائبا له .

٣١ - صرح يوشيدا رئيس الوزارة اليابانية ان الامبراطور لن يتنازل عن العرش عند وضع معاهدة الصلح موضع التنفيذ .

٢ فبراير ١٩٥٢ - ينعقد منذ اسبوع في مقر اركان الحرب الأمريكي بواشنطن مؤتمر عسكري سري يضم ممثلي اركان حرب بريطانيا وفرنسا وامريكا ومراقبين يمثلون استراليا ونيوزيلندا وهذا المؤتمر يتمم المحادثات التي جرت بين الجنرال جوان والجنرال برادلي والماريشال سليم الذين قرروا تنسيق وتوحيد جهود الدول الثلاث في جنوبي شرق آسيا .

- صدر بلاغ عن محادثات انطوني ايدن وروبير شومان التي جرت في باريس جاء فيه ان مسألة ارتباط بريطانيا بمشروع الجيش الاوروبي نالت قسطا وافرا من اهتمام الوزيرين وعلم من المصادر الرسمية ان بريطانيا وفرنسا تعارضان ضم المانيا لحلف الاطلنطي .

٤ - صرح المستشار ادناور بانه لا يعتبر نفسه قادراً على توقيع اتفاقية عامة ، المانية ، حليفة ، قبل ان يستجاب الى طلب المانيا في تسوية قضية السار وقبول الجمهورية الفدرالية الالمانية في منظمة الاطلسي .

٥ - اصدرت حكومة المانيا الغربية بلاغا رسميا اعلنت فيه ان التقارير الواردة عن التصريحات المعزوة الى الدكتور ايدناور غير صحيحة .

- اجتمع الدكتور ايدناور بالمفوضين السامين الثلاثة الغربيين وبحث معهم مستقبل المانيا .

٦ - توفي الملك جورج السادس ملك بريطانيا العظمى .

- استعمل الاتحاد السوفياتي حق الفيتو بشان قبول ايطاليا في الامم المتحدة

٨ - نودي بولية العهد الاميرة اليزابت ملكة لبريطانيا العظمى

٩ - استقال الدكتور عبد الله اليافي رئيس الوزارة اللبنانية

- رشح الحزب الجمهوري الامريكي الجنرال دوايت ايزنهاور لرئاسة الجمهورية في انتخابات الرئاسة التي ستجري في هذا العام .

١١ - الف الاستاذ سامي الصلح الوزارة اللبنانية .

- قدمت الحكومة الايطالية مذكرة احتجاج الى الاتحاد السوفياتي لاستعماله حق الفيتو ضد مشروع قبول ايطاليا في هيئة الامم . وتقول المذكرة ان كل تطبيق في المستقبل من جانب ايطاليا للموجبات المنصوص عليها في معاهدة الصلح ينبغي ان يتأثر بالموقف الذي خلقه الاتحاد السوفياتي .

١٢ - القى الدكتور اديناور رئيس وزراء المانيا الغربية خطابا قال فيه انه من الخطأ الظن ان في الامكان حماية اوروبا اذا بقيت المانيا على الحياد ، فلا بد من تناسي الماضي اذا اريد حقا انقاذ اوروبا .

١٣ - وقعت اضطرابات في ايران بمناسبة الانتخابات النيابية .

١٤ - بدأ في لندن اجتماع وزراء خارجية انجلترا وامريكا وفرنسا السادة إيدن واتشيسون وشومان للتشاور بشان المشاكل الاوروبية وفي مقدمتها تسليح المانيا والجيش الاوروبي .

١٥ - احتفل في لندن بمأتم الملك جورج السادس احتفالا كبيراً .

- اطلق احد اعضاء حزب « فدائيان اسلام » النار على السيد حسين فاطمي نائب رئيس الوزارة الايرانية السابق فاصيب بجراح خطرة . وقد افاد المعتدي محمد مهدي الرفاعي، انه كان ينوي ايضا قتل الدكتور مصدق .

١٦ - ما تزال مفاوضات الهدنة جارية في كوريا تارة تتقدم واخرى تتوقف ، وما زال القتال مستمراً لا سيما الجوي .

١٧ - صنعت بريطانيا سلاحا ذريا واعلنت انها ستختبره هذا العام في استراليا .

- قامت مظاهرات كبيرة في الدار البيضاء .

١٨ - صدقت الجمعية الوطنية التركية اشتراك تركيا في الحلف الاطلسي وغادر انقره الى لشبونة الوفد التركي لحضور مؤتمر الحلف فيها .

١٩ - خطب المسيو شومان وزير خارجية فرنسا قائلا : لا توجد في اوروبا دولة واحدة ولا بريطانيا العظمى نفسها ، تستطيع ان تتمتع اليوم باستقلال تام . ولا سبيل امام القارة القديمة « اوروبا » للحياة، الان تتوحد .

٢٠ - اكتشفت مؤامرة في بونس ايرس ترمي الى قتل رئيس جمهورية الارجنتين الجنرال بيرون وقرينته . وقد اعتقل اكثر من مائة ضابط .

٢١ - انتهى الاجتماع الذي عقده وزراء خارجية امريكا وانجلترا وفرنسا مع رئيس وزراء المانيا وقد صدر بلاغ قالوا فيه انهم اتفقوا على إعطاء المانيا منزلة جديدة وصلاحيات اوسع وانهم سيجتمعون فيما بعد لدراسة الدور الذي ستقوم به المانيا في الدفاع عن اوروبا .

٢٣ - قرر وزراء خارجية الدول الغربية الثلاثة بناء على الحاح الحكومة الالمانية باطلاق سراح مجرمي الحرب ، تاليف « محكمة استئناف » يشترك فيها قضاة عن امريكا وانجلترا وفرنسا والمانيا لاعادة النظر في اكثر من الف دعوى .

دار الطباعة والنشر اللبنانية - بيروت
تلفون 98 - 35